السياق القرآني في تفسير أبي السعود العمادي

إعــــــداد

روان فوزان مفضي الحديد

المشرف

الدكتور جهاد محمد النصيرات

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

كانون الثاني، 2010م

الجامعة الأردنية

نمــوذج تفــويض

أنا روان فوزان مفضي الحديد ، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

التوقيع: روان

التاريخ: ١٨/١/ ٢٠١٠م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة / الأطروحة (السياق القرآني في تفسير أبي السعود العمادي)
وأجيزت بتاريخ ٤/١/٢٠١٠ م

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيـــع
الدكتور جهاد فيصل النصيرات / مشرفاً أستاذ مساعد– التفسير وعلوم القرآن	....
الأستاذ الدكتور نائل ممدوح أبو زيد / عضواً أستاذ – التفسير وعلوم القرآن	....
الدكتور سليمان محمد الدقور / عضواً أستاذ مساعد – التفسير وعلوم القرآن	....
الدكتور جمال محمود أبو حسان /عضواً أستاذ مشارك – التفسير (جامعة العلوم الإسلامية العالمية)	....

الإهداء

إ ن الر ة وا داية صلى ا عليه وسلم وآل بيته الأطهار وأصحابه رضي ا تعا عنهم...

إ علماء أمتنا الأجلاء الذين قدموا للأجيال بكتبهم وأسفارهم فرائد العلم ودرره...

إ روح العلامة ا ف الشيخ أ السعود العمادي...

إ والدي الكر حفظهما ا اللذين يدخرا وسعا تشجيعي، ومساعد الوصول إ هد ، و قيق أمنيا ...

إ مشا ي الأفاضل الذين منحو العلم من ب أكفهم؛ لأ ل منه معينا نقياً...

إ من أغدق علي بالدعم ا ادي، وا عنوي بالدعوات الطيبات الصا ات...

إ أخوا ا اللا كن عونا على الثبات، و مل ا شاق سبيل ا ...

إليهم يعا أهدي هذا ا هد ا تواضع؛ سائلة ا تبارك وتعا أن يتقبله م خالصا لوجهه الكر .

شكر وتقدير

الحمد لله حمدا كثيرا مباركا عدد ما يحب ويرضى، والصلاة والسلام على سيد الخلق ونبي الهداية محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فيطيب لي في هذا المقام أن أتقدم بالشكر الجزيل لكل من أسهم في إنجاز هذا العمل، وساعدني على إتمامه، وعلى رأسهم فضيلة الدكتور جهاد محمد النصيرات؛ الذي أشرف مشكورا على هذه الرسالة، وغذاها بتوجيهاته ونصائحه الحكيمة، فجزاه الله تعالى جنان النعيم، وبارك فيه وفي علمه، وزاده منه صلاحا، كما وأشكر أساتذتي الكرام في لجنة المناقشة الذين تكبدوا عناء قراءة هذه الرسالة، ولم يدخروا وسعاً في تقديم النصح والإرشاد؛ وهم:

١-الدكتور جمال أبو حسان

٢-الأستاذ الدكتور نائل أبو زيد

٣-الدكتور سليمان الدقور

جزاهم الله خيرا، ورفع قدرهم في الدارين، ونفع بهم الإسلام والمسلمين.

ولا أنسى كل من أعانني على هذا العمل، وقدم لي الدعم المعنوي والمادي، تقبل الله عملهم وجعله ثقيلا في موازين حسناتهم.

فهرس المحتويات

السياق القرآني في تفسير أبي السعود العمادي

إعـــداد

روان فوزان مفضي الحديد

المشرف

الدكتور جهاد محمد النصيرات

الملخص

تناولت هذه الدراسة السياق القرآني في تفسير الإمام العلامة أبي السعود العمادي (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)؛ في محاولة للكشف عن مدى اعتماده السياق القرآني في تفسيره.

واقتضت طبيعة الموضوع أن يكون في مقدمة وفصلين وخاتمة.

تناولت الباحثة في المقدمة أهمية هذه الدراسة وأهدافها، والمنهج الذي ستعتمده، والدراسات السابقة في هذا الموضوع، وخطة البحث.

الفصل الأول وهو الفصل التمهيدي في الدراسة وتضمن التعريف بالإمام أبي السعود، من خلال البيئة التي نشأ فيها، وحياته العلمية والعملية الحافلة بالعطاء؛ بدءا من التربية الصالحة التي تلقاها في كنف أسرته، وانتهاءا بوفاته –رحمه ا تعالى-، وتناولت أيضا التعريف بتفسيره من خلال عرض مقدمته، وبيان منهجه فيه، وعرض المصادر التي اعتمدها، وأسباب تميز تفسيره، وذكر بعض المآخذ عليه.

وفي المبحث الثاني كان التعريف بالسياق القرآني لغة واصطلاحا، وبيان أهميته في علم التفسير، ومدى عناية العلماء به، ومن ثم بيان أنواعه.

أما الفصل الثاني فقد كان في تمهيد وخمسة مباحث؛ بينت الباحثة في التمهيد أهم المصطلحات التي عبر بها أبو السعود عن السياق في تفسيره، وفي المبحث الأول من الفصل بينت أثر السياق القرآني عند أبي السعود في التفسير؛ من حيث إبراز المناسبات، وإيثار مفردة أو صيغة على أخرى، وفي المبحث الثاني: أثر السياق في تحديد مرجع الضمير، وأثره في تقدير المحذوف.

واحتوى المبحث الثالث بياناً لأثر السياق القرآني عند أبي السعود في الترجيح بين الروايات والآراء التفسيرية والقراءات القرآنية والوجوه الإعرابية.

وفي المبحث الرابع عرضت الباحثة نماذج تطبيقية لبيان أثر السياق القرآني عند أبي السعود في توجيه المتشابه اللفظي؛ من حيثُ: التعريف والتنكير، التقديم والتأخير، الحذف والذكر، وتعليل التكرار اللفظي.

وتحدثت الباحثة في المبحث الخامس عن القيمة العلمية لتطبيقات الإمام العمادي في مراعاته للسياق القرآني في تفسيره.

وفي الخاتمة أوردت الباحثة أهم النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة.

ثم عرضتْ المصادر والمراجع التي أفادت منها في كتابتها.

بسم ا الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد رب العالمين، حمد عباده الصالحين، وصلى ا على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فلقد أفنى بعض علماء المسلمين أعمارهم في البحث عن أسرار كتاب ا تبارك وتعالى، ومحاولة استخراج درره المكنونة فيه، والغوص في أعماق معانيه، ومن هؤلاء العلماء الأجلاء العلامة (أبو السعود العمادي)، صاحب التفسير الجليل (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) الذي حظي باهتمام أرباب السلطة والرئاسة في زمن الخلافة العثمانية، ونال نصيبا وافرا من الثناء والرعاية من قبل العلماء في كل مكان وعلى مر الزمان؛ لذاك رأت الباحثة أن تقف مع هذا السفر الجليل في محاولة لاستقراء أثر السياق القرآني فيه، ولمعرفة مدى اعتماد مؤلفه على السياق القرآني بوصفه ضابطاً مهم من ضوابط تفسير القرآن الكريم.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية هذه الدراسة من:

١. كون معرفة السياق ومراعاته من أهم دعائم التفسير القرآني.
٢. أن تفسير أبي السعود يعد مرجعا أساسياً لطلاب العلم المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن.
٣. عدم وجود دراسات سابقة مطبوعة - فيما أعلم –تناولت السياق القرآني في تفسير أبي السعود، بحيث تبرز أثر السياق في تفسيره.
٤. ضرورة تسليط الضوء على السياق؛ لإدراك أثره بوصفه دعامة أساسية في تفسير القرآن الكريم.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى:

١. إبراز أهمية مراعاة السياق القرآني في التفسير عمليا؛ من خلال تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)؛ وذلك بتسليط الضوء على عناية أبي السعود بالسياق القرآني، بوصفه مرتكزا من مرتكزات التفسير الأساسية للقرآن الكريم.
٢. الكشف عن قيمة السياق وأثره في تفسير أبي السعود العمادي.

الدراسات السابقة :

إن الدراسات السابقة المتعلقة بهذا الموضوع تحديدا؛ غير موجودة –بحسب اطلاعي- ولكنني وقفت على دراسات تناولت إما تفسير أبي السعود، وإما الحديث عن السياق القرآني بشكل عام؛ وهي كما يلي:

١) العالم التركي الكبير شيخ الإسلام أبو السعود وأسلوبه في التفسير، رسالة ماجستير، إعداد: عبد ا آي دمير، قونيا، جامعة سلجوق، سنة: (١٩٦٨).

٢) أبو السعود ومنهجه في التفسير، رسالة ماجستير، إعداد: عبد الستار فاضل خضر، جامعة بغداد، سنة: (١٩٨٨).

ولم تطلع الباحثة على محتوى هاتين الرسالتين؛ بل وقعت على أسمائهما من خلال الشبكة العنكبوتية.

٣) أبو السعود ومنهجه في النحو من خلال تفسيره: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم نموذجا، رسالة ماجستير، إعداد: عماد أحمد الزبن، بإشراف: د. ياسين خليل، الجامعة الأردنية، سنة: (٢٠٠٦)، وكانت في مقدمة، وتمهيد وأربعة فصول.

ووضح الباحث في التمهيد علاقة النحو بالتفسير، فهو من أبرز مبادئه.

الفصل الأول: عرض فيه الباحث حياة أبي السعود وعلمه، متناولاً ترجمته وأهم مصنّفاته وآثاره.

وفي الفصل الثاني: عرض أصول النحو، وقرر فيه الباحث منهج أبي السعود في الأصول، ومنهجه في الاحتجاج، ومنهجه في العلة والتعليل.

ثم خصص الفصل الثالث؛ لبيان أثر النحو في تفسير أبي السعود، وقد انصب اهتمامه في هذا الفصل على الجانب التطبيقي.

الفصل الرابع: كشف الباحث عن مصادر أبي السعود وآرائه ومصطلحاته النحوية، وموقفه من المذاهب النحوية الأخرى.

وفي الخاتمة عرض لنتائج الدراسة.

٤) بلاغة الالتفات عند أبي السعود العمادي في كتابه: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، رسالة ماجستير، إعداد: فادي الشامي، بإشراف: د.أحمد نوفل، الجامعة الأردنية، سنة: (٢٠٠٨). بين فيها الباحث ملامح حياة أبي السعود، وعلمه وشيوخه وتلاميذه

ثم تحدث عن الالتفات تاريخه ونشأته وتطوره، وأغراضه البلاغية.

وأخيرا جاء الحديث عن أبي السعود وبيان مدى اعتنائه ببلاغة الالتفات القرآني في تفسيره.

٥) وسائط الربط في القرآن من خلال السياق، رسالة ماجستير، إعداد: رابحة محمد، بإشراف: يحيى علي أحمد، جامعة الكويت، سنة: (٢٠٠٠)، واشتملت هذه الدراسة على مقدمة، تمهيد وبابين، ثم خاتمة

أما المقدمة؛ ففيها أهمية الدراسة، وأهدافها.

والتمهيد؛ بينت فيه الباحثة خطة الدراسة، وملخصها، وشرحة نظرية السياق ومدى تأثيرها في العلوم الأخرى.

كان الباب الأول للحديث عن الوسائل اللغوية؛ عرضت فيه حروف العطف؛ معانيها، وتأثرها بالسياق، وتحدثت عن أدوات الشرط؛ أهميتها وتقسيم النحاة لها.

وكان الباب الثاني لبيان (الوسائل النصية – الدلالية -)، تحدثت فيه عن الإحالة، والتكرار، والفصل والوصل، والحذف، والمناسبة، والإجمال والتفصيل؛ مبينة تعريف كل منها، وعناية العلماء بها، مستعينة بالشواهد القرآنية على ذلك.

ثم الخاتمة وفيها أهم النتائج.

٦) السياق في كتب التفسير: الكشاف، وابن كثير نموذجاً، رسالة ماجستير، إعداد: محمد المهدي رفاعي، بإشراف: د.مصطفى عثمان، جامعة حلب، سنة: (٢٠٠٤)، وفيها مدخل وثلاثة أبواب:

في المدخل حدد الباحث مصطلح السياق، بعد تتبعه في المعاجم اللغوية والاصطلاحية من عربية وأجنبية؛ في محاولة لوضع تعريف دقيق، ثم عرف التفسير ونشأته واتجاهاته، وتلاه تعريف بمفسري موضوع الدارسة.

كان الباب الأول في الحديث عن السياق في اللسانيات والدرس العربي القديم؛ إذ قدم الباحث بداية في حديثه ملخصاً وافياً عن الدرس السياقي في اللسانيات ونشأته، وأعلامه، ومن ثم عرض رصد ظاهرة السياق في بيئات مختلفة من التراث العربي.

وفي الباب الثاني تناول بالتفصيل الحديث عن سياق المقال؛ فشرح بنية سياق المقال بحسب قوانين اللغة، ثم كان الحديث عن الموقعية السياقية بتعريف مقصده منها، وذكر مراعاة الموقعية السياقية في التفسير، وتوجيه المفسرين للمعنى بحسبها.

أما الفصل الأخير فقد خصصه لبيان قضية (السياق المشكل).

وأما الباب الثالث فتحدث فيه عن سياق الحال وعناصره؛ عنصر المتكلم، المتلقي، الزمان والمكان، ثم ختم حديثه ببيان أبرز جوانب سياق الحال في كتب التفسير، وأكثرها حضوراً فيها؛ وهي الأحداث المصاحبة للنصوص القرآنية، التي حظيت باهتمام المفسرين، حتى عدوها علماً مستقلاً تحت اسم (أسباب النزول).

وأخيراً الخاتمة وفيها أبرز النتائج.

٧) السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، رسالة دكتوراة، إعداد: مثنى عبد الفتاح، بإشراف: د. فضل عباس، جامعة اليرموك، سنة: (٢٠٠٥).

وهذه الدراسة نشرت فيما بعد في كتاب بعنوان: (نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية)؛ تناول الباحث في بداية الحديث عن السياق بشكل عام؛ من حيث: مفهومه، علاقته بغيره من العلوم، وخصائصه.

ثم جاء الحديث عن محاور نظرية السياق القرآني؛ من حيث: أنواع السياق، ضوابطه، فوائده، الأسباب الصارفة عن الأخذ به.

ثم عرض دراسة تطبيقية سياقية على سورة فاطر.

وأخيراً لا غنى للباحثة عن الرجوع **لبعض** هذه الدراسات؛ خاصة فيما يخدم الجانب النظري في هذه الدراسة وحسب.

ما تميزت به هذه الدراسة عن سابقاتها:

تميزت هذه الدراسة ببيان مدى اعتماد أبي السعود دلالات السياق القرآني في تفسيره، وإبراز طريقته في بيان أثر السياق القرآني فيه، ولم تتناول أياً من الدراسات السابقة هذا الموضوع بهذه الأهداف.

منهجية البحث:

اعتمد في هذه الدراسة عدد من المناهج، وهي:

- المنهج الاستقرائي: حيث ستقوم الباحثة باستقراء المادة العلمية المتعلقة بالموضوع، استقراء- بقدر المستطاع – من تفسير(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم).
- المنهج التحليلي: حيث ستقوم الباحثة بتحليل النتائج التي توصلت إليها من استقراء المادة العلمية.
- المنهج الوصفي: حيث ستقوم الباحثة بعرض طريقة الإمام(أبو السعود) في التعامل مع السياق القرآني.

خطة البحث:

تقتضي طبيعة هذه الدراسة أن تكون في مقدمة، وفصلين، وخاتمة؛ وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشمل أهمية هذه الدراسة، وأهدافها، والدراسات السابقة في هذا الموضوع، والمنهج الذي اعتمد فيها، وخطة البحث.

الفصل التمهيدي: أبو السعود وتفسيره، والتعريف بالسياق القرآني؛ وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالإمام (أبو السعود) وتفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإمام أبي السعود، من حيث:

- اسمه ومولده، والبيئة التي نشأ فيها.
- حياته العلمية والعملية.
- وفاته.

المطلب الثاني**:** التعريف بتفسير(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) من حيث:

- عرض مقدمته.
- منهج مؤلفه فيه.
- مصادره.
- أسباب تميزه.
- المآخذ عليه.

المبحث الثاني: التعريف بالسياق القرآني وأهميته وأنواعه، وهو في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف السياق القرآني لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية السياق القرآني وعناية العلماء به.

المطلب الثالث**:** أنواع السياق القرآني؛ من حيث:

١. العموم والخصوص.
٢. الترجيح.

الفصل الثاني: أثر السياق في تفسير أبي السعود العمادي وقيمته العلمية؛ وهو في أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثر السياق القرآني عند أبي السعود في المناسبات وإيثار مفردة أوصيغة على أخرى؛ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أثر السياق في إبراز المناسبات وإيثار مفردة أو صيغة على أخرى؛ من حيث:

أولاً: المناسبة بين الآية والسياق الذي وردت فيه

ثانياً: المناسبة بين الفاصلة القرآنية والسياق الذي وردت فيه

ثالثاً: المناسبة بين المقاطع في السورة القرآنية

رابعاً: مناسبة خاتمة السورة لسياقها العام

خامساً: مناسبة القصص للسياق الواردة فيه

المطلب الثاني: أثر السياق في إيثار مفردة أو صيغة على أخرى

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني عند أبي السعود في تحديد مرجع الضمير وتقدير المحذوف؛ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أثر السياق في تحديد مرجع الضمير

المطلب الثاني: أثر السياق في تقدير المحذوف

المبحث الثالث: أثر السياق القرآني عند أبي السعود في الترجيح؛ وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الترجيح بين الروايات التفسيرية

المطلب الثاني: الترجيح بين الآراء التفسيرية

المطلب الثالث: الترجيح بين القراءات القرآنية

المطلب الرابع: الترجيح بين وجوه الإعراب

المبحث الرابع: أثر السياق القرآني عند أبي السعود في توجيه المتشابه اللفظي؛ من حيث:

المطلب الأول: التعريف والتنكير

المطلب الثاني: الحذف والذكر

المطلب الثالث: التقديم والتأخير

المطلب الرابع: تعليل التكرار اللفظي

المبحث الخامس: القيمة العلمية لتطبيقات أبي السعود في مراعاته للسياق القرآني في تفسيره

وأخيرا **الخاتمة**: عرض فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة من هذه الدراسة.

ثم قائمة المصادر والمراجع التي اعتمدتها الباحثة في الدراسة.

هذا وإن كل عمل بشري لا بد أن يعتريه النقص؛ بالغاً ما بلغ، فلا كمال إلا ما كمله ا عز وجل وحده، فا أسأل أن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم، وأستغفره سبحانه من كل عثرة وزلة، وأبرأ إليه من كل حول وقوة، فلا رجاء إلا إليه، ولا اتكال إلا عليه، ولا طمع إلا فيما عنده، وبذلك فليفرح المؤمنون، والحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين، محمد صلى ا عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل التمهيدي: أبو السعود وتفسيره، والتعريف بالسياق القرآني

المبحث الأول: التعريف بالإمام أبي السعود وتفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالإمام أبي السعود، من حيث:

- اسمه ومولده، والبيئة التي نشأ فيها.
- حياته العلمية والعملية.
- وفاته.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) من حيث:

- تحليل مقدمته.
- منهج مؤلفه فيه.
- مصادره.
- أسباب تميزه.
- المآخذ عليه.

المطلب الأول: التعريف بالإمام أبي السعود

أولاً: اسمه ومولده

هو أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الإسكليبي الحنفي. ولد في التاسع عشر من صفر، سنة: أربع وتسعين وثمانمائة للهجرة، وقيل سنة: ست وتسعين وثمانمائة؛ الموافق سنة: أربع وسبعين وخمسمائة وألف للميلاد[١]، في مدينة اسكليب[٢]، بالقرب من القسطنطينية[٣].

ثانياً: العصر الذي عاش فيه، والبيئة التي نشأ فيها

هناك علاقة وثيقة بين حضارة الدولة وبين ازدهارها العلمي؛ فكلما ازدهرت حضارة الدولة وتقدمت؛ تأثرت العلوم بها؛ فتقدمت كذلك، والعكس صحيح.

وفي بيان هذا أفرد الإمام ابن خلدون[٤] –رحمه ا - فصلاً بعنوان: (في أن العلوم إنما تكثر، حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة)، حيث قال: "واعتَبِر ما قررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة، لما كثر عمرانها صدر الإسلام، واستوت فيها الحضارة، كيف زخرت فيها بحار العلم، وتفننوا في اصطلاحات التعليم، وأصناف العلوم، واستنباط المسائل والفنون؛ حتى أربوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين، ولما تناقص عمرانها، وابذَعر سكانها –

---

[1] ينظر: ابن بالي، علي (ت ٩٩٢هـ)، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، وهو ذيل على كتاب (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية) لطاشكبرى زاده**، ١م، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥م، صـ ٤٤٠؛ وينظر: العيدروس، عبد القادر بن شيخ (ت ١٠٣٨هـ)، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ط١، ١م، دار الصادر، بيروت، ٢٠٠١م، صـ٩؛ وينظر: الأدنه وي، أحمد بن محمد، **طبقات المفسرين**، ط١، ١م، (تحقيق: سليمان الخزي)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٧م، صـ٣٩٨؛ وينظر: الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، ط١، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج١، صـ١٨٢؛ وفيه أنه ولد سنة (٩٠٠هـ) -ولعل هذا التردد في تحديد سنة وفاته راجع إلى طبيعة التأريخ؛ إذ يركز المؤرخون على زمن الوفاة أكثر من زمن الولادة، فمثلاً: الإمام البيضاوي –رحمه ا - لم يسجل المؤرخون سنة ولادته-؛ وكذلك ينظر: البغدادي، إسماعيل باشا(ت ١٣٣٩هـ)، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، ط بلا، ٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥١م، ج٢، صـ٢٥٣؛ وفيه: "ثم تحقق أن اسمه أحمد"؛ وينظر: الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٠هـ)، **الأعلام**، ط١٥، ٨م، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٧م، ج٣، صـ٥٩.

[2] اسكليب: مدينة في ولاية قسطموني، واقعة على فرع من نهر قزل إيرمق إلى جنوب شرقي مدينة قسطموني، فيها الكثير من المدارس والمكتبات والمساجد (ينظر: البستاني، بطرس، **دائرة المعارف**، ط بلا، ١٠م ، دار المعرفة، بيروت، سنة: بلا، ج٣، صـ٥٤٤).

[3] القسطنطينية، أو القسطنطينة (بإسقاط ياء النسبة) هي ما يعرف الآن باسم: استانبول، عمرها ملك رومي يقال له: قسطنطين؛ فسميت باسمه، والحكايات عن حسنها وعظمتها كثيرة، بسورها العظيم، وخليجها مترامي الأطراف (ينظر: الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد ا (ت ٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، ط بلا، ٦م ، طهران، ١٩٦٥م، ج٤، صـ٩٥-٩٦).

[4] ابن خلدون هو عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي، فيلسوف مؤرخ، عالم اجتماعي، له مؤلفات كثيرة منها: الحساب، والعبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، توفي سنة:(٨٠٨هـ) (ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٣، صـ ٣٣٠).

أي تفرقوا-، وانطوى ذلك البساط جملة بما عليه؛ فُقِد العلم والتعليم، وانتقل إلى غيرها من أمصار الإسلام"[1]، وحالُ بعض الدول المحتلة اليوم خير شاهدٍ على صواب كلامه –رحمه ا -.

ومن يتأمل العصر الذي عاش فيه الإمام العمادي؛ يدرك أحد العوامل التي ساعدت على سطوع نجمه، وعلو شأنه؛ فلقد كانت الدولة العثمانية في أوج قوتها، وتميزها على سائر دول العالم، حيث سادت التوسعات والفتوحات[2] على يد السلطان القانوني[3].

وكان سلاطين الدولة –آنذاك- حريصين على التقرب من رجال العلم والدين ؛ ليفيدوا منهم في صياغة قوانين الدولة، وصناعة القرارات، وحل المعضلات، وكانوا – أيضاً- يولون العلم والعلماء عناية خاصة؛ ففتحوا المدارس، وخصصوا لها الرواتب؛ لإنفاقها على العلماء، وطلاب العلم. لقد كان العلم -عموماً- متوجهاً نحو التمكن إلى أقصى حد مستطاع من العلوم التي أبدعها، وأنتجها العلماء السابقون[4].

وفي ظل هذا العصر المزدهر حضارياً- نشأ إمامنا العمادي في بيت علم وفضل ودين، فبدأ مشوار العلم على يد والده[5] الذي مكنه من فهم (حاشية الشريف الجرجاني)[6]؛ فقرأها مع جميع حواشيها المنقولة عنها، كما قرأ (مفتاح العلوم) للإمام السكاكي[7] وشروحه، وغيره من

---

[1] ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ)، **مقدمة ابن خلدون**، ط١، ١م، (تحقيق:حامد طاهر)، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤م، صـ٥٢٤.

[2] ينظر: البكري، محمد بن أبي السرور (ت ٩٩٨هـ)، **المنح الرحمانية في الدولة العثمانية**، ط١، ١م، (تقديم وتحقيق وتعليق: د. ليلى الصباغ)، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٥م، صـ١٢٢-١٢٦؛ وينظر: المحامي، محمد فريد (ت ١٣٣٨هـ)، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط١، ١م، (تحقيق: د. إحسان حقي)، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١م، صـ٢٥٢؛ وينظر: آصاف، يوسف بك (ت ١٩٣٨م)، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن**، ط١، ١م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م، صـ ٦٠-٦٨.

[3] السلطان القانوني هو السلطان سليمان خان القانوني، من كبار السلاطين العثمانيين، تقدمت الفتوحات في أيامه تقدما عظيما، واشتهر بالقانوني؛ لما وضعه من الأنظمة الداخلية في كافة فروع الحكومة. توفي سنة: ٩٧٤هـ، وقد أم جنازته الإمام العمادي (ينظر: المحامي، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، صـ١٩٨-٢٥١).

[4] ينظر: البكري، **المنح الرحمانية**، صـ١٢٢-١٢٦؛ وينظر: أوزتانا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية**، ط١، ٢م ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، ١٩٨٨م، ج١، صـ٣٤٥-٣٥٥؛ وينظر: أبو زيدون، وديع، **تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط**، ط١، ١م، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣م، صـ١٢٦-١٢٨.

[5] وهو عالم معروف سلك المسلك الصوفي على الطريقة النقشبندية، جمع بين العلم والعمل، كان مقربا إلى السلطان، حتى عرف باسم (شيخ السلطان)، وكان من رجال الدولة المرموقين، توفي سنة: ٩٢٠هـ (ينظر: طاشكبرى زاده، عصام الدين (ت ٩٦٨هـ)، **الشقائق النعمانية من علماء الدولة العثمانية**، ط١٠ ، ١م، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥م، صـ٢٠٦).

[6] الشريف الجرجاني هو علي بن محمد، عالم نحرير فصيح العبارة، دقيق الإشارة، فارس في البحث والجدل، برع في علم المنطق والكلام، وعلم النحو، والتصوف. من مصنفاته: حاشيته على أوائل الكشاف، حاشيته على المطول. توفي سنة: ٨١٦هـ (ينظر: اللكنوي، محمد بن عبد الحي (١٣٠٤هـ)، **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، ط١، ١م، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٨م، صـ٢١٢- ٢١٦).

[7] الإمام السكاكي هو يوسف بن أبي بكر بن محمد الخوارزمي، عالم في النحو والتصريف والمعاني والبيان والعروض والشعر وغيره. من آثاره: مفتاح العلوم، رسالة في علم المناظرة (ت ٦٢٦هـ) (ينظر: ابن العماد، شهاب الدين عبد الحي العكري (ت ١٠٨٩هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط١، ١٠م، (حققه وعلّق

الكتب التي صقلت شخصيته العلمية البيانية. فأي امرئ عكَفَ على أمثال هذه التصانيف القيمة؛ ولم يبلغ من العلم أعلاه، ومن فنون اللغة العربية أرقى منازلها!

ثم أخذ إمامنا العلم عن جماعة من علماء عصره، أمثال:

- المولى سعدي الجلبي ابن التاجي، كان عالما فاضلاً في جميع العلوم، سيما العلوم العربية، صالحاً كريم النفس، حميد الخصال، صادق القول، قرأ على كبار علماء عصره، تولى منصب التدريس في عدة مدارس، توفي سنة: (٩٢٢هـ)[1].
- المولى عبد الرحمن ابن المؤيد الأماسي، كان بارعاً في علوم اللغة ماهراً في التفسير والحديث، والبلاغة والبيان، كان ينظم الشعر بالتركية، والفارسية والعربية، له عدة رسائل علمية مفيدة، منها: رسالة في تحقيق الكرة المدحرجة، تقلد التدريس، وتولى القضاء حتى توفي سنة: (٩٢٢هـ)[2].
- الشيخ عبد الرحمن، الشهير بـ(شيخ زاده)، كان ماهراً في العلوم العربية والفنون الأدبية، تميز في الحديث والتفسير، وعلوم الوعظ والتذكير؛ فقُلد التدريس والخطابة، وكان لا يكتفي بالتلميح والإيماء، بل يبالغ في التصريح والتوضيح، ولا يتحرز من الإعادة حرصا على إيصال الإفادة، توفي سنة: (٩٧١هـ)[3].

عليه: محمود أرناؤوط، وأشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه: عبد القادر أرناؤوط)، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٩٣م، ج٧، صـ٢١٥؛ وينظر: كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، ط١، ٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م، ج٤، صـ١٤٨-١٤٩؛ وينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٨، صـ٢٢٢).

[1] ينظر: طاشكبرى زاده، **الشقائق النعمانية**، صـ١٩٧.

[2] ينظر: المصدر نفسه، صـ١٧٦.

[3] ينظر: ابن بالي، **العقد المنظوم**، صـ٣٦٢-٣٦٣.

ثالثاً: حياته العلمية والعملية

*حياته العلمية

حظي الإمام- رحمه ا - بمنزلة علمية مرموقة، وثقافة عالية المستوى، وهذا يعود إلى عدة عوامل مهمة -داخلية وخارجية-، هيأها ا عز وجل له، ومنها:

١. رعاية والده له في صغره، إذ حرص على تنشئته النشأة العلمية السوية، التي تضمن له مستقبلاً علمياً زاهرا.
٢. تحلّيه بالأخلاق العالية، والسمت الحسن، مما ساعده على كسب ثقة الناس من حوله.
٣. الذكاء وسعة الأفق التي رزقها الإمام العمادي؛ مما أهله لتولي أهم المناصب في الدولة، وأكثرها حساسيةً.
٤. تلقيه الدعم المادي والمعنوي من قِبل سلاطين الدولة العثمانية في زمانه؛ فهو لم يبق نفسه حبيس الزوايا بل وعظ وخالط سلاطين زمانه؛ محافظاً على استقلاله الفكري، دون مداهنة أو مداراة لأرباب الرئاسة؛ وواقع حياته خير دليل على ذلك[١].

هذه العوامل مجتمعة جعلت لإمامنا –رحمه ا - مكانة سامية بين الناس عامة، وبين العلماء خاصة؛ فلقد اعترف كثير من العلماء بفضله، وطول باعه في العلم؛ حتى أطلقوا عليه ألقاباً كثيرة، منها: مفتي الأنام، سلطان المفسرين، شيخ المفسرين، والإمام الأكبر الهمام[٢]، وعالم الروم، أو مفتي الديار الرومية، ومولانا –كما سماه الإمام الآلوسي بذلك[٣]-، وغيرها من الألقاب!

كما أثنى عليه ثلة من العلماء، منهم الإمام علي بن بالي[٤]، إذ يقول: "سيقت إليه الركاب من كل قطر وجانب، وازدحم على بابه الوفود من أصحاب المجد والجدود، وشملت شمائله العامة والخاصة، وبقي هذا مدة ثلاثين عاما... وسارت أجوبته في جميع العلوم في الآفاق مسيرة النجوم، وجعلت رشحات أقلامه تميمة نحر؛ لكونها يتيمة بحر، ياله من بحر!"[5]، ويقول: "كان

---

[1] ينظر: زين، عماد أحمد (٢٠٠٦م)، **أبو السعود ومنهجه في النحو من خلال تفسيره: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، الأجزاء العشر الأولى من القرآن أنموذجا**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، صـ٢٨.

[2] ينظر: العيدروس، **النور السافر**، صـ٣١٩؛ ينظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد ا (ت ١٠٦٧هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ط٤، ٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٤١م، ج١، صـ٦٥؛ وينظر الأدنه وي، **طبقات المفسرين**، صـ٣٩٨.

[3] ينظر: الآلوسي، أبو الثناء شهاب الدين (١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط بلا، ٣٠م ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م، ج١، صـ١٥٢.

[4] علي بن بالي هو محمد أوزون، المعروف بـ(منق)، مؤرخ تركي، أديب عالم بالعربية، عمل في التدريس، والإفتاء والقضاء، له تآليف كثيرة، منها: العقد المنظوم، وإفاضة المفتاح، توفي سنة: ٩٩٢هـ (ينظر: البغدادي، **هدية العارفين**، ج١، صـ٧٤٩؛ وينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، صـ٢٦٥).

[5] ابن بالي، **العقد المنظوم**، صـ٤٤١.

واسع التقرير، سائغ التحرير، يلتَقطُ الدرر من كلمِهِ، ويتناثر الجوهر من حكمه، إذا نثر تراه بحراً زاخراً... ذا مهابة عظيمة، وتؤدة جسيمة، وقلّما يقع في مجالسه للعظام المبادرة بالخطاب والكلام"[١]، وهذا دليل على علو منزلته، وعظم هيبته بين العلماء، وكبار الدولة.

وقال الإمام البوريني[٢] –رحمه ا - : "كانت له حشمة وافية وحرمة باهرة، وقوة بين أمثاله قاهرة، بحيث إنه كان محط الرحال، ومرجع الرجال، ونتيجة الآمال، باهت به الدولة وافتخرت به الجملة؛ بحيث إنه كان يأمر فلا يخالف في أمره، ويطلب؛ فيعطى ما طلب، مع أداء حمده وشكره"[٣].

ونقل الإمام العيدروس[٤] مدح أحد العلماء الذين لقوا الإمام العمادي، وهو الإمام قطب الدين المفتي[5]؛ يقول: " اجتمعتُ به... وهو قاضي استانبول سنة: (٩٤٣هـ)؛ فرأيته فصيحاً، وفي الفن رجيحاً، فعجبت لتاك العربية ممن لم يسلك ديار العرب[٦]، ولا محالة أنها منح الرب "[٧].

ويعرف به الإمام الأدنه وي[٨] –رحمه ا عز وجل-؛ قائلاً: "المولى الأعظم أبو السعود العمادي، هو الدين والدنيا، واللفظ والمعنى، وهو الغاية القصوى، هو الذروة العليا، سلطان المفسرين مقدمة جيش المتأخرين، مفتي الأنام، مفني البدع والآثام، صاحب أذيال الإفضال والإسعاد، وصاحب الإرشاد ابن صاحب الإرشاد..."[٩].

ومن العلماء الذين شُغِفُوا بالإمام أبي السعود، العلامة الآلوسي[١٠]، صاحب التفسير الموسوعي (روح المعاني)؛ فإن الناظر في هذا التفسير؛ يدرك مدى اعتماد الآلوسي على تفسير

[1] ابن بالي، **العقد المنظوم**، صـ٤٤٥.

[2] الإمام البوريني هو الحسن بن محمد، مؤرخ، من العلماء بالحديث والأدب والفقه، والرياضيات والمنطق، له تصانيف عديدة، منها: السبع السيارة، الرحلة الحلبية. توفي سنة: ١٠٢٤هـ (الزركلي، **الأعلام**، ج٢،صـ٢١٩).

[3] البوريني، الحسن بن محمد (ت ١٠٢٤هـ)، **تراجم الأعيان من أبناء الزمان**، ط بلا ، ٢م، تحقيق: صالح الدين المنجد (١٩٥٩م) مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٦٣م، ج١، صـ٢٤٠.

[4] العيدروس هو عبد القادر بن شيخ بن عبد ا ، مؤرخ باحث يمني، له العديد من المؤلفات، مثل: النور السافر، الأنموذج في مناقب أهل بدر، توفي سنة: ١٠٣٨هـ (ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، صـ٣٩).

[5] قطب الدين المفتي هو محمد بن أحمد الحنفي، مؤرخ من أهل مكة، نصب مفتيا فيها، من مؤلفاته: منتخب التاريخ، التذكرة، (ت: ٩٨٨هـ) (ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، صـ٧).

[6] لقد كان طلق اللسان، راسخا في علوم اللغة العربية، سابراً لأغوارها؛ على الرغم من أنه لم ينشأ في أحضان البلاد العربية!

[7] العيدروس، **النور السافر**، صـ٣٢٠.

[8] هو أحمد بن محمد، من أعلام القرن الحادي عشر، له كتاب طبقات المفسرين أنهى تأليفه في الخامس من ذي الحجة سنة: ١٠٩٥هـ، ولم يعثر له على ترجمة (ينظر: الأدنه وي، **طبقات المفسرين**، صـ٤٤٥).

[9] الأدنه وي، **طبقات المفسرين**، صـ٣٩٨.

[10] الآلوسي: محمود بن عبد ا ، أبو الثناء البغدادي، المفسر الأديب المحدث، تقلد الإفتاء، ثم عزل وانقطع للعلم، له من مؤلفاته: تفسيره المشهور روح المعاني، غرائب الاغتراب. توفي سنة: ١٢٧٠هـ (ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، صـ١٧٦).

(إرشاد العقل السليم)؛ "حتى كاد أن يقال: إن الآلوسي قد استوعب تفسير أبي السعود في تفسيره روح المعاني؛ فهو يأخذ عبارة أبي السعود ويعنى بها، ويناقشها، ويوضحها ويدلل عليها"[١]، وأكثر ما يكون هذا في القضايا البلاغية، والبيانية.

ومن الذين شهدوا للعلامة العمادي الإمام اللكنوي[٢] إذ قال: "شيخ كبير، وعالم نحرير، لا في العجم له مثيل، ولا في العرب له نظير، انتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه، وبقي مدة العمر في الجلالة وعلو الشأن"[٣].

وممن شهد له بعلو المنزلة في العلوم وخاصة في التفسير الإمام محمد الفاضل بن عاشور[٤]، إذ يقول: "وكان ما عرف طلبة العلم عنه عن كثب في دروسه الحافلة البديعة وتحاريره، وما نقل الأدباء من وسائله وقصائده، قد مكّن مقامه العلمي في قلوب أهل العلم، وفتح لهم أبواب الحظوة والكرامة في رحاب الباب العالي على عهد السلطان(سليمان الأول) فاتح تونس[٥]"[٦].

***مؤلفاته:**

إن هذا الثناء الذي حظي به الإمام العمادي، إنما هو شاهد تاريخي على حسن سيرته، التي انتشرت في الأقطار، وعلمه الغزير الذي جذب الأنظار، فقد برع في شتى العلوم، إذ خط يراعه مصنفاتٍ عديدة مفيدة؛ منها على سبيل الذكر لا الحصر[٧]:

- ❖ تفسيره المشهور (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) –وسيأتي الحديث عنه مفصلاً، إن شاء ا تعالى - طُبِع عدة مرات؛ منها في المكتبة الحسينية سنة:

[1] النصيرات، د. جهاد محمد (٢٠٠٥م)، **الاتجاه البياني (علم المعاني) في تفسير الآلوسي من خلال سورة البقرة**. رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، الأردن، إربد، صـ٨٨.

[2] اللكنوي هو محمد بن عبد الحي الأنصاري الهندي، أبو الحسنات، عالم بالحديث والتراجم، فقهاء الحنفية، له الفوائد البهية، والتحقيق العجيب في الفقه، وغيرها من المؤلفات، توفي سنة: ١٣٠٤هـ (ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، صـ١٨٧).

[3] اللّكنوي، **الفوائد البهية**، صـ١٤٠.

[4] هو محمد الفاضل بن محمد الطاهر ابن عاشور، خطيب أديب، مشارك في علوم الدين من أعلام النهضة الحديثة في تونس، كان من أنشط زملائه مكافحة للاستعمار، شغل عدة مناصب مهمة؛ مثل التدريس والإفتاء، من مصنفاته: الحركة الفكرية والأدبية في تونس، أركان الحياة العلمية بتونس. توفي سنة: ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م (ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٦، صـ٣٢٥).

[5] وهو سليمان القانوني، سبقت ترجمته.

[6] ابن عاشور، **التفسير ورجاله**، صـ١٢٩؛ وينظر: فنسك، **دائرة المعارف الإسلامية**، ج١، صـ٣٤٨.

[7] ينظر: البغدادي، **هدية العارفين**، ج٢، صـ٢٥٤؛ وينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٧، صـ٥٩؛ وينظر: الأدنه وي، **طبقات المفسرين**، ص٣٩٨؛ وينظر: دامير، عبد ا ، **شيخ الإسلام أبو السعود أفندي كبير علماء الحقوق في الدولة العالية**، ط١، ١م، أوتوكان، استانبول، ٢٠٠٦م، صـ٤٢-٥٢.

(١٩٢٨م)، ومكتبة الرياض الحديثة، سنة: (١٩٧١م)، كما وقد ترجِم إلى اللغة التركية - وهذا إنما يدل على مدى الأهمية التي تمتع بها هذا التفسير-.

- ❖ ثواقب الأنظار في أوائل منار الأنوار في الأصول، مخطوط في مكتبة بايزيد[١].
- ❖ بضاعة القاضي في الصكوك، مخطوط في مكتبة السليمانية[٢].
- ❖ حسم الخلاف في المسح على الخفاف، مخطوط في مكتبة السليمانية[٣]، وفي دار الكتب المصرية[٤].
- ❖ غمزات المليح في أول مباحث قصر العام من التلويح، وهي أيضاً من مخطوطات السليمانية[٥].

وهذه المخطوطات لم تطبع بعد!

وله باع طويل أيضا في الشعر وبحوره، والنثر وأغواره؛ فقد عرف بأنه" كان يكتب الجواب على منوال ما يكتبه السائل من الخطاب؛ واقعاً على لسان العرب والعجم والروم من المنثور والمنظوم، وقد أثبت منها ما يستعذبه الناظر، ويستحسنه أرباب البصائر"[٦].

ونُقِل عنه أنه قال: " جلست يوماً بعد صلاة الصبح أكتب على الأسئلة المجتمعة، فكتبت إلى صلاة العصر ألف وأربعمائة واثني عشر فتيا"[٧]، دره! كم كان يبذل جهده في سبيل نفع الناس، وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم؛ يكتب الفتاوى بعدة لغات –عربية، فارسية أو تركية- على الرغم من انعدام التقنيات التي استحدثت فيما بعد، والتي من شأنها أن تسهل مثل هذه المهام!

ومن هذه الأجوبة ما رد به على بيتي العجم، وهما:

نحن أناس قد غدا دأبنا	**حب علي بن أبي طالب**
يعيبنا الناس على حبه	**ولعنة ا على العائب**

فأجاب المولى أبو السعود:

ما يعيبكم هذا ولكنه	**بغض الذي لُقب بالصاحب**

---

1 ينظر: دامير، **شيخ الإسلام أبو السعود**، صـ٤٢.

2 ينظر: دامير، المرجع نفسه، صـ٤٣.

3 ينظر: دامير، المرجع نفسه، صـ٤٤.

4 ألفها الإمام -رحمه ا تعالى- سنة: ٩٤٨هـ، نسخة المخطوط بقلم معتاد، كُتِب سنة: (١٠٠٥هـ) بخط موسى بن محمد القرماني (ينظر: أمين، فؤاد سيد؛ **فهرست المخطوطات**، ٣م، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦١م، ج١، صـ٤١٨).

5 ينظر: دامير، **شيخ الإسلام أبو السعود أفندي**، صـ٤٢.

6 ابن بالي، **العقد المنظوم**، صـ٤٤١.

7 ينظر: العيدروس، **النور السافر**، صـ٣٢٠.

وقولكم فيه وفي بنته فلعنة ا على الكاذب[١]

وله في الألسنة الثلاثة من القصائد الكثير، ومنها القصيدة الميمية الطويلة التي مطلعها:

أبعد سلمى مطلب ومرام وغير هواها لوعة وغرام[٢]

وهذه القصيدة شهد الأساطين برصانة بنيانها، وحسن سبكها، وبلاغة رصفها؛ حتى اعتنى بها العلماء؛ شرحاً وبياناً[٣].

*حياته العملية

تقلد الإمام مفتي الأنام عدداً من المناصب في حياته؛ فقد كان من خيرة المعلمين في زمانه؛ مما أهله لتولي التدريس في عدة مدارس، مثل: (مدرسة الكنقري) و(إسحاق باشا)[٤]. وهذا إنما يدل على ثقافته الواسعة، ورسوخه في العلم!

ثم قُلِد قضاء (بروسة[٥]) ثم (القسطنطينية)، ثم تولى مهام قضاء العسكر مدة ثمان سنوات؛ إلى جانب مزاولته مهنة التدريس[٦]، وبعدها تولى الإفتاء في (القسطنطينية) سنة: (٩٥٢هـ)[٧]، إلى أن تولى منصب قاضي القضاة في دمشق وذلك سنة: (٩٦٥هـ)[٨].

وهذه المناصب- كما هو ظاهر- ذات أهمية بالغة في كيان أي دولة؛ ففي العصر الذي عاش فيه إمامنا كانت الدولة العثمانية – كما سبق ذكره- امبراطورية عظمى، لها ثقلها السياسي والعسكري...، ومن الطبيعي أن تتخير الدولةُ رجالها بشكل دقيق؛ فتختار من المفتين أعلمهم، ومن القضاة أحكمهم، ومن القادة العسكريين أكثرهم ذكاء وحنكة...؛ فكان جماع هذا كله متوفراً في الإمام الأكبر الهمام، وهو خير من تولى أمر هذه المهام.

عاش الإمام أبو السعود حياة حافلة بالعطاء؛ فقد بدد ظلمات الجهل عن تلاميذه عندما عمل في سلك التدريس، ثم حلّ الخصومات بين الناس وهو يشغل منصب القضاء، ثم بين أحكام

---

[1] ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج١، صـ١١.

[2] ينظر: العيدروس، **النور السافر**، صـ٣٢٠.

[3] ولمزيد فائدة؛ ينظر: ابن بالي، **العقد المنظوم** ، صـ٤٤٥.

[4] ينظر: ابن بالي، المصدر نفسه، صـ٤٤٠.

[5] تعرف أيضاً باسم بورصة، وهي مدينة في شمال آسيا الصغرى، يعمل سكانها بتربية دود القز، ويصدرون الفواكه وزيت الزيتون، من أشهر الآثار فيها: (يشيل جامع) -أي الجامع الأخضر- (ينظر: فنسك، وآخرون، **دائرة المعارف الإسلامية**، ط٢، (ترجمة: محمد ثابت وآخرون)، منشورات طهران، إيران، ١٩٣٤م، ج٣، صـ٦٠٨)

[6] ابن عاشور، محمد الفاضل (ت ١٣٩٠هـ)، **التفسير ورجاله**، ط ٣، ١م، دار سحنون، تونس، ١٩٩٩م، صـ١٢٩.

[7] ينظر: ابن بالي، المصدر نفسه، صـ٤٤٠.

[8] ينظر: الغَزي، نجم الدين محمد (ت ١٠٦١هـ)، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، ط١، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣، صـ١١.

الشريعة عند توليه الإفتاء، حتى خدم البلاد الإسلامية وهو قاضيا للعسكر في(روم يلّي[١]) – رحمه ا وأجزل ثوابه-.

رابعاً: وفاته

توفي الإمام الهمام (أبو السعود) في جمادى الأولى، سنة اثنين وثمانين وتسعمائة للهجرة[٢]، عن عمر يناهز الثمانية والثمانين، في مدينة القسطنطينية، وحضر جنازته خلقٌ كثير، إذ نما خبر وفاته الحرم المكي، ونودي إلى صلاة الغائب عليه من أعلى زمزم[٣]، ودفن جثمانه بجوار الإمام أبي أيوب الأنصاري[٤]. غفر ا لإمامنا، وأكرم نزله!

---

[1] وتعرف أيضا باسم أروميليا، هي منطقة تُحد شمالاً بالبلقان، وشرقا بالبحر الأسود والبسفور، ومن الجنوب بالبحر الأبيض، حكمها الأتراك، وسادت ثقافتهم فيها (ينظر: فنسك، **دائرة المعارف الإسلامية**، ج١٠، صـ٢٥٤-٢٦٠)

[2] هذا ما أجمع على نقله المترجمون، ولكن الإمام العيدروس –رحمه ا تعالى- ذكر بأن وفاته كانت في سنة: (٩٥٢هـ) (ينظر: العيدروس، **النور السافر**، صـ٣١٩)، وهذا فيه نظر من عدة وجوه:

أولاً: أنه قول شاذ عن ما أجمع عليه المؤرخون.

ثانياً: لقد أورد العيدروس –نفسه- ما يناقض هذا القول؛ فقد نقل عن (قطب الدين المفتي) أن الإمام العمادي تولى منصب الإفتاء سنة: ٩٥٢هـ، وهذا التاريخ نقله العلماء وأكّدوه، وأضافوا بأنه تولى منصب قاضي قضاة دمشق سنة: ٩٦٥هـ، وهذا يدلّ على أنه توفي بعد سنة: ٩٥٢هـ.

ثالثا: ظهر من خلال تتبع ترجمة أبي السعود أنه لقي السلطان (سليمان خان القانوني) وشهد وفاته، وعاصر السلطان (سليم خان) الذي خلفه، ونحن نعلم بأن (القانوني) توفي سنة: ٩٧٤هـ (ينظر: المحامي، **تاريخ الدولة العلية**، صـ٢٥٢) وهذا دليل آخر على خطأ ما ذُكِر عن وفاة العمادي في (النور السافر). وا تعالى أعلم.

[3] ينظر: ابن بالي، **العقد المنظوم**، صـ٤٤٣؛ وكذلك ينظر: البوريني، **تراجم الأعيان**، ج١، صـ٢٤٤؛ وفيه يقول: "كانت وفاته في سنة ثلاث وثمانين وتسع مئة، كما نقل إلينا بالتواتر– رحمه ا تعالى- "؛ وينظر: العيدروس، **النور السافر**، صـ٣٢١.

[4] وهو الصحابي الجليل خالد بن زيد بن كليب الخزرجي البدري، حدث عن النبيρ عدة أحاديث في الصحيحين، توفي سنة اثنتين وخمسين (ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد (ت ٧٤٨هـ)، **سير أعلام النبلاء**، ط٣، ٢٩م، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ج٢، صـ٤٠٢-٤١٣).

المطلب الثاني: التعريف بتفسير (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) من حيث: أولاً: عرض مقدمته

تفسير (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) للعلامة مفتي الأنام أبي السعود العمادي، من أروع التفاسير وأكملها[١]، إذ توجه الإمام بمقدمةٍ في غاية البلاغة، قوامها أربع صفحات، جاءت مشابهة إلى حد كبير لمقدمات بعض التفاسير؛ مثل: (الكشاف)، و(البحر المحيط)، و(أنوار التنزيل)؛ من حيثُ الجزالة والوجازة وحسن السبك؛ بدأها بالبسملة والثناء على الله تعالى وكتابه المعجز، ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهذه سنة المفسرين في استفتاح مقدمات تفاسيرهم، من لدن شيخ المفسرين الطبري، مروراً بالزمخشري والبيضاوي، وأبي حيان حتى إمامنا، ومن بعده – رحمهم الله -.

تحدث الإمام في-البدايةً-عن العبرة من خلق الخلق، مشيراً إلى عدد من مظاهر القدرة الإلهية الموصلة لمعرفة الله تعالى، ثم انتقل إلى ذكر القرآن وإعجازه، وسطر بمداده اعترافاً بجهود العلماء السابقين في هذا العلم، مقتدياً بصنيع أسلافه من المفسرين، مثل البيضاوي[٢] وأبي حيان...-رحمهم الله - وهذا إنما يدل على سمو أخلاقهم!

ثم سلط العمادي الأضواء على تفسيري (الكشاف) و(أنوار التنزيل)، فأثنى عليهما، مبيناً كيف كانا سبباً رئيساً في تأليف تفسيره (إرشاد العقل السليم)، يقول: "كلاً منهما قد أحرز قصب السبق، أي إحراز كأنه مرآة لاجتلاء وجه الإعجاز، صحائفهما مرايا المزايا الحسان، وسطورهما عقود الجمان، وقلائد العقيان[٣]"[٤].

وأتبع هذا ببيان أسباب تأليفه لتفسيره الفريد، والمصاعب التي حالت دون إنجازه بسرعة؛ مشابهاً بذلك لما فعله الزمخشري[٥]، وابن عطية[٦]، والبيضاوي[٧]، وأبو حيان[٨]... في ذِكر الأسباب

---

[1] ينظر: الأدنه وي، **طبقات المفسرين**، صـ٣٩٨.

[2] ينظر: البيضاوي، أبو الخير ناصر الدين (ت٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط١، ٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٨م، ج١، صـ٢٣.

[3] الجمان: الدر؛ العقيان: ذهب ينبت نباتا وليس مما يحصل من الحجارة (ينظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت: ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ط١، ١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، صـ٢٠٦؛ و٦٥٠)

[4] العمادي، أبو السعود محمد بن محمد (ت ٩٨٢هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ط١، ٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ج١، صـ٨.

[5] ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط٢، ٤م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ج١، صـ٤٣-٤٤.

[6] ينظر: ابن عطية، عبد الحق بن غالب (ت٥٤١هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط١، ٦م، (تحقيق: عبد السلام محمد)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م، ج١، صـ٣٣-٣٤.

[7] ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، صـ٢٣.

[8] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، صـ٩٩-١٠٢.

الكامنة وراء تصنيفهم تلك الأسفار القيمة؛ فلقد بينوا في مقدماتهم الظروف والمصاعب التي أحاطت بهم زمن التأليف.

ثم انتقل الإمام في مقدمته إلى الحديث عن نيته في إهداء ما أتمه من تفسيره –وهو من أول القرآن إلى سورة (ص)- إلى السلطان (سليم خان[1])، مصدراً ذِكر السلطان بألوانٍ من المدح والثناء، استغرقت ما يزيد عن خمسة عشر سطراً من مقدمته؛ وفاق بهذا المدح مدح الزمخشري[2] وأبي حيان[3] وغيره –رحمهم ا - في مدحهم لأولياء أمور زمانهم من خلال مقدماتهم!

وأخيراً عرض الإمام اسم تفسيره[4]، مبيناً شروعه في تأليفه على الرغم من العوائق التي ألقت أثقالها في طريقه، يقول: "فلما انصرمت عرى الآمال، عن الفوز بفراغ البال، ورأيت أن الفرصة على جناح الفوات، وشَمِلَ الأسباب في شُرفَ الشتات، وقد مسني الكِبر، وتضاءلت القوى والقدر، ودنا الأجل من الحلول، وأشرفت شمس الحياة على الأفول، عزمت على إنشاء ما كنت أنويه، وتوجهت إلى إملاء ما ظِلِات أبتغيه، ناوياً أن أسميه عند تمامه بتوفيق ا تعالى وإنعامه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)"[5].

وهذا التعبير عن دنو الأجل، وانقضاء العمر قد عبر عنه من سبقه من المفسرين؛ ليعلمونا ضرورة استثمار أعمارنا فيما يرضي ا تعالى عنا، ويفيد الأمة.

وختم –رحمه ا - هذه المقدمة النفيسة، بدعاء وتضرع عز وجل ؛ ليعينه على إتمام ما نواه[6]. رحمه ا وأسكنه جنانه!

---

[1] هو السلطان سليم خان الثاني ابن السلطان سليمان القانوني، أخذ بإصلاح الأمور الداخلية، وتنظيم شؤون البلاد، وتوفي على إثر حمةٍ أصابته؛ سنة: ٩٨٢هـ (ينظر: فنسك، **دائرة المعارف الإسلامية**، ج١٢، صـ ١٣١-١٣٤؛ وينظر: آصاف، **تاريخ بني عثمان**، صـ ٦٧-٦٨)

[2] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، صـ ٤٤.

[3] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، صـ ١٠٠.

[4] لقد طُبِع تفسير الإمام العمادي تحت عنوان:(إرشاد العقل السليم إلى مزايا **القرآن الكريم**)، في دار الصحف، مطبعة عبد الرحمن محمد، القاهرة. وهذا وهم!

[5] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ ١٠.

[6] هذا بالمقارنة مع مقدمات التفاسير الأخرى؛ يلاحظ أن الإمام لم يضع منهجه في تفسيره، ولم يبين الشروط الواجب توفرها في المفسر.

ثانياً: معالم منهج مؤلفه فيه

يتميز منهج الإمام أبي السعود في تفسيره بما يلي:

١. حرصه على الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية[1]؛ لأنهما من أصح طرق التفسير، وأهمها[2]، وكذلك استشهد بالأقوال المأثورة عن السلف؛ فكثيراً ما ينقل عن ابن عباس وغيره ψ ولكنه -في الغالب- لا ينقل سند الأثر، ولا يبين صحته من ضعفه[3].

٢. الاستشهاد في كثير من المواطن بمعهود العرب وعرفهم[4]، ويكثر من الاستشهاد بالشعر العربي؛ ولكنه في الغالب يغفل ذكر اسم الشاعر[5].

٣. الاهتمام بتعريف الألفاظ القرآنية؛ إذ نجده –أحياناً- يبين معنى اللفظة وأصلها في اللغة، ويعرض استخدامات العرب لها، وكذلك يبين معناها الشرعي[6]، ويعتني أيضاً ببيان الفروق بين الكلمات القرآنية؛ مستشهدا بآراء علماء النحو وآثار السلف الصالح[7].

٤. عنايته بعلم النحو؛ فقد تعلم الإمام العمادي علوم اللغة؛ حتى لاكها وأصبحت من طبيعته؛ فأولى قضايا النحو والإعراب -في تفسيره- اهتماماً بالغاً؛ فهو يذكر الوجوه الإعرابية المحتملة في الكلمة القرآنية، ويرجح من بينها ما يتناسب مع صحيح المأثور واللغة والسياق، كما يستعرض أحياناً مذاهب النحاة[8].

٥. العناية بعلوم البلاغة؛ يظهر رسوخ قدم الإمام في علوم البلاغة من خلال تفسيره ظهوراً واضحاً، فهو مولع بالكشف عن أسرار القرآن الكريم، في نظمه وأسلوبه[9]، خاصة في علم المعاني[10].

٦. منهجه في القراءات؛ يلاحظ من استقراء تفسيره أنه يعتني بذكر القراءات في الكلمة القرآنية؛ لكنه لايذكر نوع القراءة؛ من حيث التواتر أو الشذوذ، ولا يشير إلى قارئها؛ فتراه يورد

---

[1] ينظر مثلا: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ٩٧، (البقرة: ٢٦).
[2] ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس (ت ٧٢٨هـ)، **مقدمة في أصول التفسير**، ط١، ١م، (شرح: د. مساعد الطيار)، دار ابن الجوزي، الدمام، ٢٠٠٦م، صـ٥٧.
[3] ينظر مثلا: العمادي، المصدر نفسه، ج٥، صـ٣٨٩، (الزمر: ٢٣).
[4] ينظر مثلا: المصدر نفسه، ج٢، صـ٣٦٥، (الأنعام: ٦).
[5] ينظر مثلا: المصدر نفسه، ج٢، صـ٣٠٠، (المائدة: ٦٩).
[6] ينظر مثلا: المصدر نفسه، ج١، صـ١٠٢، (البقرة: ٢٦).
[7] ينظر مثلا: المصدر نفسه، ج١، صـ١٥٤، (البقرة: ٧٩).
[8] ينظر مثلا: المصدر نفسه، ج٥، صـ١٣٥، (القصص: ٨٢).
[9] ينظر: الذهبي، محمد حسين (ت ١٩٧٧م)، **التفسير والمفسرون**، ط١، ٢م، دار اليوسف، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١، صـ٣٥٧.
[10] ينظر مثلا: العمادي، المصدر نفسه، ج١، صـ١٢٠، (البقرة: ٣٤).

المتواتر والشاذ من القراءات دون تمييز بينها، وتجده أحياناً يرجح ما بين القراءات ما يراه متناسباً مع السياق[١].

٧. وفي المسائل الفقهية كان يعرض آراء أصحاب المذاهب الفقهية وأدلتهم؛ دون إطناب أو تطويل، بل يكتفي بسردها موجزة، مع حرصه على إبراز المذهب الحنفي، ودون تعصب، مشيراً إليه بقوله: "عندنا"[٢]

٨. قلة ذكره للإسرائيليات[٣]؛ فتراه إذا ذكرها صدرها بصيغة التمريض، وختمها بقوله: "ا تعالى أعلم"، أو" العلم عند ا سبحانه"[٤].

٩. إيراده الإحالات في تفسيره؛ إذ يقوم الإمام بإحالة القارئ من سورة إلى أخرى؛ متجنباً تكرار ما فسره وبينه[5].

١٠. عنايته بالكشف عن انحرافات الفرق الضالة، والرد عليهم؛ إذ ينبه الإمام العمادي على آراء الفرق المنحرفة؛ مثل الرافضة، مبيناً خلطهم ومواطن زللهم، بالأدلة والبراهين[٦].

١١. اعتماده السياق القرآني في تفسيره، وهو ما تأخذ هذه الدراسة على عاتقها تتبعه وبيانه –إن شاء ا -.

---

[1] ينظر مثلا: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ١٤٩، (البقرة: ٧٤).
[2] ينظر مثلا: العمادي، المصدر نفسه، ج٣، صـ١٣٨، (التوبة: ٢٨).
[3] ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج١، صـ٣٥٨.
[4] ينظر مثلا: العمادي، المصدر نفسه، ج١، صـ١٢٢، (البقرة: ٣٦).
[5] ينظر مثلا: المصدر نفسه، ج5، صـ٣٧٢، (ص: ٧٣).
[6] ينظر مثلا: المصدر نفسه، ج٣، صـ٤٨٢، (إبراهيم: ٢٢).

ثالثاً: مصادره

لقد أفاد العلامة العمادي في تفسيره من إرث أجداده في ميادين التفسير واللغة والنحو وغيرها؛ **ففي علم التفسير اعتمد تفاسير قيمة منها**:

- تفسير السدي الكبير[١]؛ لإسماعيل السدي[٢].
- كتاب معاني القرآن[٣]؛ لأبي زكريا الفراء.
- تفسير جامع البيان في تأويل القرآن[٤]؛ للطبري (ت: ٣١٠هـ).
- كتاب معاني القرآن وإعرابه[٥]؛ لأبي إسحاق الزجاج.
- تفسيرالكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل[٦]؛ للزمخشري.
- تفسير مفاتيح الغيب[٧]؛ لفخر الدين الرازي.
- تفسير الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن[٨]؛ للقرطبي.

---

[1] هو من التفاسير التي تحتل مكانة هامة في تاريخ التفسير بعامة والتفسير المأثور بخاصة، تميز بذكره لأحداث كثيرة من السيرة النبوية، ولا يحمل في ثناياه ميلا مذهبيا، ويبرز فيه الطابع اللغوي، ويقع في مجلد واحد (ينظر كلام: السدي، إسماعيل بن محمد (ت: ١٢٨هـ)، **تفسير السدي الكبير**، ط١، ١م، (جمع وتوثيق ودراسة: د. محمد يوسف)، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٣م، صـ٤٢-٤٧).

[2] السدي هو إسماعيل بن عبد الرحمن، تابعي، حجازي الأصل، سكن الكوفة، توفي سنة:١٢٨هـ (ينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج١، صـ٣١٧)؛ ينظر مثال اعتماده: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ٣٦٤.

[3] وهو تفسير للقرآن الكريم، من أكثر كتب الفراء شهرة وانتشارا، ألفه بناء على طلب أصحابه، فكان يملي عليهم؛ حتى تم تدوينه كاملا (ينظر: الوراق، محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٠هـ)، **الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم**، ط بلا، ٢م، (تحقيق: رضا تجدد المازنداري)، مكتبة الأسدي، طهران، ١٩٧١م، ج١، صـ٧٣)؛ وينظر مثال اعتماده: العمادي، المصدر نفسه، ج٢، صـ٢٢٤.

[4] هو من أشهر التفاسير وأجلها عند المفسرين الذين عنوا بالتفسير النقلي، وإن كان مرجعا مهماً في التفسير العقلي أيضا؛ لما فيه من الاستنباطات وتوجيه الأقوال، ويقع في ثلاثين مجلدا (ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج١، صـ٢١٧)؛ وينظر مثال اعتماده: العمادي، المصدر نفسه، ج١، صـ٣٧٦.

[5] لقي هذا التفسير قبولا عند أهل العلم؛ فهو ذا قيمة لغوية كبير، ولقد راجع فيه مؤلفه المفسرين السابقين من النحويين واللغويين؛ مشيرا إلى قراءاتهم وما يتجه عليها من معان قرآنية، أضاف شروحا لغوية لم تذكرها كتب النحويين (ينظركلام المحقق: الزجاج، إبراهيم بن محمد (ت ٣١١هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، ط١، ٥م، (شرح وتحقيق: د. عبد الجليل شلبي)، دار عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، صـ٢١-٢٧)؛ وينظر مثال اعتماده: العمادي، المصدر نفسه، ج١، صـ٣٦٣.

[6] من أبرز التفاسير التي اعتنت بالبلاغة، وإبراز روعة النظم القرآني، هذا وقد انتصر فيه مؤلفه لمذهب المعتزلة؛ فكُتِبت عليه حواشي أشهرها: (الانتصاف) لابن المنير، ويقع في أربعة مجلدات (ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج١، صـ٤٤٠-٤٤١).

[7] هو تفسير موسوعي، مشهور بين العلماء؛ لأنه يمتاز بالأبحاث الفياضة، في شتى العلوم، يتسم أسلوبه بالتنظيم في عرض المسائل والعلوم، يقع في ثماني مجلدات (ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج١، صـ٢٩٩-٣٠١)؛ وينظر مثال اعتماده: العمادي، المصدر نفسه، ج٥، صـ٣٤١.

[8] من أجل التفاسير في ميدان التفسير الفقهي، اعتنى به مؤلفه بالقراءات، والرد على أهل الضلالات، وعرض قضايا اللغة والنحو، وهو في عشرة مجلدات(ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج٢، صـ٤٩٤-٤٩٥)؛ وينظر مثال اعتماده: العمادي، المصدر نفسه، ج١، صـ٣٧٦.

- تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل[١]؛ للبيضاوي (ت:٦٩١هـ)، ولقد اعتمد العلامة أبو السعود عليه بشكل أساسي إلى جانب تفسير الكشاف؛ فقد انشغل بمطالعتهما وعكف عليهما حتى نظم تفسيره البديع[٢].
- تفسير البحر المحيط[٣]؛ لأبي حيان (٧٤٥هـ).

وفي اللغة والنحو اعتمد كتباً عديدة؛ منها:

- كتاب العين في اللغة[٤]؛ للفراهيدي.
- كتاب (الكتاب)[5]؛ لسيبويه.
- كتاب مفردات ألفاظ القرآن[٦]؛ للراغب الأصفهاني.

وغيرها الكثير من الكتب القيمة، مثل: أسباب النزول[٧]؛ لأبي الحسن الواحدي، ولم يكتف الإمام –رحمه ا - بما في هذه الكتب القيمة، بل أضاف عليها من حصيلة علمه الغزير، وثقافته الواسعة.

---

[1] اختصر فيه البيضاوي –رحمه ا - تفسير الكشاف، وأضاف عليه، خاليا من الاعتزالات، جمع فيه مؤلفه بين التفسير والتأويل على مقتضى قواعد اللغة، وقرر أدلة أهل السنة فيه، اهتم فيه بالقراءات والمسائل الفقهية، وطبع في مجلدين (ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج١، صـ٣٠٥-٣٠٦).

[2] ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ٨.

[3] من أهم التفاسير التي تعنى بإعراب الألفاظ القرآنية، والقضايا النحوية، إلى جانب الاهتمام بالنواحي التفسيرية الأخرى، تعقب فيه مؤلفُه الزمخشري، وابن عطية؛ بالرد والتفنيد لما قالاه في المسائل النحوية، يقع هذا التفسير في ثمانية أجزاء (ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، صـ٣٢٦-٣٢٨)؛ وينظر مثال اعتماده: العمادي، المصدر نفسه، ج٣، صـ٢٩٠.

[4] وهو من أهم كتب اللغة، رتبه مؤلفه وفق مخارج الحروف، واختُلِف في نسبته كاملا إلى مؤلفه، هذا وقد اعتمد عليه كثير من العلماء منهم: سيبويه –رحمه ا - (ينظر: خليفة، **كشف الظنون**، ج٢، صـ١٤٤١-١٤٤٤)؛ وينظر مثال اعتماده: العمادي، المصدر نفسه، ج١، صـ١٥٤.

[5] حظي كتاب سيبويه بشهرة واسعة، واهتم أهل العلم به؛ حيث نشأت عليه شروح وتعليقات كثيرة، وقيل عنه: "من أراد أن يصنف كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه؛ فليستحي" (ينظر: خليفة، **كشف الظنون**، ج٢، صـ١٤٢٧-١٤٢٨)؛ وينظر مثال اعتماده: العمادي، المصدر نفسه، ج١، صـ٣٧٠.

[6] هو من أجل المصنفات النافعة في كل علم من علوم الشرع، أملاه مؤلفه على حروف التهجي معتبرا في أوائل حروفه الأصلية، والإشارة إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات والمشتقات؛ مستشهدا بما في الكتاب والسنة، وشعر العرب (ينظر: خليفة، **كشف الظنون**، ج٢، صـ١٧٧٣)؛ وينظر مثال اعتماده: العمادي، المصدر نفسه، ج٢، صـ٨٠.

[7] من أشهر ما صنف في علم أسباب النزول، واختصره الإمام برهان الدين الجعبري؛ فحذف أسانيده، ولم يضف عليه شيئا(ينظر: خليفة، **كشف الظنون**، ج١، صـ٧٦)؛ وينظر مثال اعتماده: العمادي، المصدر نفسه، ج٢، صـ٢٠٩.

رابعاً: أسباب تميزه

إن سبب هذا الثراء العلمي الذي يتمتع به تفسير (إرشاد العقل السليم) إنما هو ذلك العلم الذي تلقاه الإمام العمادي منذ صغره على يد والده، ومشايخه –رحمهم ا تعالى- إضافة إلى الخبرة الغنية التي اكتسبها في حياته العملية؛ لذا فإنك تجد اهتمام أبي السعود في تفسيره قد اشتمل على عدة جوانب؛ النحوية، والبلاغية والفقهية والعقدية...وتنبع مكانة هذا التفسير العلمية من عدة أمور، أهمها:

١. الشهرة التي تمتع بها الإمام العمادي في عصره، فلقد تنامى خبر تأليفه (إرشاد العقل السليم) إلى بلاد المغرب[١].
٢. سلامة هذا التفسير من الفكر والاعتقاد المنحرفين، ولقد حافظ مصنفه على عقائد أهل السنة، وابتعد فيه عن الحشو والتطويل، وخلط التفسير بما لا يتصل به، غير مسرف فيما يضطر إليه من التكلم في بعض النواحي العلمية[٢]، وهو رغم تأثره -بوالده- في العلوم، لم ينشغل بالتصوف، بل كان يحرص على محاربة غلاة التصوف، وفتاويه خير دليل على هذا[٣].
٣. وتظهر أهمية هذا التفسير من خلال ما أحدثه من أثر في الوسط العلمي، مما حدا بالباحثين وطلبة العلم إلى العناية به قراءةً، وفهماً؛ حتى غدا هذا التفسير مصدراً معتمداً يرجع إليه في الكشف عن لطائف القرآن، وتجلية إعجازه؛ لما يتمتع به من سلامة ذوق، وتوفيق في التطبيق؛ لهذا لقي قبولاً وانتشاراً واسعاً في البلاد، وهذه المنزلة لم يحظ بها سواه بعد تفسيري الزمخشري، والبيضاوي[٤]، ومن الأدلة على هذا اهتمام العلامة الآلوسي به؛ إذ كان جل اعتماده على تفسير العمادي، في تصنيفه (روح المعاني).
٤. شهادة المؤرخين والعلماء لصاحب هذا التفسير؛ إذ اهتموا بسيرته العلمية والعملية، وتتبعوا أخباره، وأدرجوه في سجلات العلماء الخالدين الذين أسهموا في تشكيل صروح المعرفة.
٥. تنوع مصادر هذا التفسير الأساسية؛ فالإمام العمادي نهل العلم من عدة مشارب في التفسير، واللغة، والنحو، وغيرها –وقد سبق الحديث عن مصادر الإمام في تفسيره-.

---

[1] ينظر: ابن عاشور، **التفسير ورجاله**، صـ ١٣١.

[2] ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج١، صـ ٣٦٠؛ وينظر: الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت ١٩٤٨م)، **مناهل العرفان**، ط٢، ١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، صـ٣٧٩.

[3] ينظر: ابن بالي، **العقد المنظوم**، صـ٤٤٢.

[4] ينظر: خليفة، **كشف الظنون**، ج١، صـ٦٥؛ وينظر: الزرقاني، **مناهل العرفان**، ص٣٧٩.

٦. حضور شخصية مصنفه فيه؛ حضوراً قوياً، فلا تراه ناقلاً نقلاً حرفياً عن سابقيه؛ بل ناقداً ومحللاً، وحين يستشهد بعبارة غيره من العلماء؛ يناقشها ويعلق عليها[١].

٧. واستمد هذا التفسير مكانته أيضاً، من مكانة تفسيري الزمخشري والبيضاوي؛ يقول العمادي –رحمه ا - في مقدمته في سياق الحديث عن هذين التفسيرين: " لقد كان في سوابق الأيام وسوالف الدهور والأعوام، أوان اشتغالي بمطالعتهما وممارستهما، زمان انتصابي لمفاوضتهما ومدارستهما، يدور في خلدي على استمرار، آناء الليل وأطراف النهار، أن أنظم درر فوائدهما في نمط دقيق، وأرتب غرر فرائدهما على ترتيب أنيق، وأضيف إليهما ما ألفيته في تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقائق، وصادفته في أصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقائق وأسلك خلالها بطريق الترصيع على نسق أنيق وأسلوب بديع، حسبما يقتضيه جلالة شأن التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل، ما سنح الفكر العليل بالعناية الربانية، وسمح فيه النظر الكليل بالهداية السبحانية من عوارف معارف تمتد إليها أعناق الهمم من كل ماهر ولبيب..."[٢].

٨. ومما يزيد في مكانة تفسير العمادي علواً؛ جدة الأسلوب في وضعه؛ فكثيراً ما ينبه العمادي القارئ إلى الدروس التي تشير إليها الآيات؛ مستنبطاً ما فيها من خلاصات وحكم ربانية[٣].

---

[1] ومثال هذا كثير، ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ١٧٤، (البقرة: ١٠٢).

[2] ينظر: العمادي، المصدر نفسه، ج١، صـ٩، (مقدمة المؤلف).

[3] ينظر: المصدر نفسه، ج١، صـ٢٦٠، (في البقرة: ٢٥١)، وينظر: ج٦، صـ٤٣، (الزخرف:٨١).

خامساً: المآخذ على تفسيره:

إن تفسيره (إرشاد العقل السليم) مهما بلغت قيمته العلمية رقياً، ولغته بلاغةً، وأسلوبه رقةً وطلاوةً؛ إلا أنه يبقى جهداً بشرياً يعتريه النقص –فسبحان من حاز الكمال وحده!- وقد يجد القارئ عليه ملاحظاتٍ ومآخذ منها:

١. ينقل الأحاديث الضعيفة والموضوعة؛ دون التنبيه على ضعفها، ولا سبب علتها، ويكثر هذا عند بيانه لفضائل السور[١].

٢. يذكر وجوه القراءة في بعض الكلمات القرآنية، لكنه في أغلب الأحيان لا يعزو القراءة إلى قارئها، ولا يبين نوعها؛ من حيث: التواتر أو الشذوذ[٢]؛ لذلك نقل الغث والسمين من القراءات، وليته أفاد من علم الإمام البيضاوي[٣]–رحمه ا - في القراءات، وكان يفاضل بين القراءات المتواترة، سيرا على نهج الإمام الطبري ومن وافقه؛ وهذا لا يسلم لهم؛ إذ إن كل قراءة قرآنية أجمعت الأمة على تواترها تنطوي على حكمة بيانية، وفيها معنى ينسجم والسياق القرآني الذي وجدت فيه، ولا يجوز المفاضلة بينها فكلها وحي من ا تعالى.

٣. ينقل الأقوال والأشعار دون أن يوثقها، ودون أن ينسبها إلى قائلها؛ ولعله اعتمد على شهرتها بين أهل اللغة[٤]، أو لتركيزه واهتمامه بوضع الشاهد بصرف النظر عن القائل، كما ينقل عن البيضاوي -رحمه ا - لطائف سياقية هامة ومحورية؛ دون أن ينسب الفضل إليه[٥]، وكثيرا ما يورد الأقوال التفسيرية دون عزوها إلى قائليها؛ ويصدرها بكلمة: "قيل"، وأحياناً تكون هذه الآراء مما ذكره الزمخشري أو البيضاوي[٦]؛ فيناقشها دون ذكر اسميهما؛ ولعله قد اكتفى بالإشارة إليهما في مقدمة تفسيره!

---

[1] ينظر: الرومي، فهد بن عبد الرحمن، **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، ط١، ١م، مكتبة التوبة، الرياض، صـ١٥٧؛ وينظر مثاله: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٢، صـ ٩٠، (آل عمران: ٢٠٠).

[2] ينظر: العمادي، المصدر نفسه، ج٣، صـ٣٨٧، (يوسف: ٣١)؛ ينظر: القراءات في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾: خاروف، **الميسر في القراءات الأربع عشر**، صـ ٢٣٩.

[3] إن من أهم الأسباب التي دفعت البيضاوي –رحمه ا - إلى تأليف تفسيره؛ أنه أراد تصنيف كتاب يعرب عن القراءات المشهورة المعزوة إلى الأئمة الثمانية المشهورين، والشواذ المروية عن القراء المعتبرين (ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التاويل**، ج١، صـ٢٣؛ وينظر: علي، يوسف أحمد (١٤٠٤هـ)، **البيضاوي ومنهجه في التفسير**، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، صـ١٢٢).

[4] ينظر: العمادي، المصدر نفسه، ج٢، صـ٣٩٢، (يوسف:٣٦).

[5] ينظر: المصدر نفسه، ج١، صـ ٢٥١، (البقرة:١٩٨).

[6] ينظر: المصدر نفسه، ج١، صـ١٨٩، (البقرة:١١٩)؛ وينظر: علي، أحمد يوسف، **البيضاوي ومنهجه في التفسير**، صـ٣١٢-٣١٤.

٤. تميزت عبارته بالغموض والصعوبة في التحليل؛ وهذا ما دفع كثيرا من طلبة العلم إلى العزوف عن دراسته والغوص فيه والتنقيب عن درره، ففي بعض العبارات التي ينظمها العلامة القاضي ومفتي الديار الرومية يلاحظ كأنها بنود قانونية في جزالتها ورصانتها، أو أنها نصوص فتاوى محكمة السبك منزهة عن أي إطناب مخل أو إسهاب ممل.

المبحث الثاني: التعريف بالسياق القرآني وأهميته وأنواعه، وهو في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف السياق القرآني لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: أهمية السياق القرآني وعناية العلماء به.

المطلب الثالث: أنواع السياق القرآني؛ من حيث:

١. العموم والخصوص.
٢. الترجيح.

المطلب الأول: تعريف السياق لغةً واصطلاحاً

أولا: السياق لغة

ذكر الأزهري[(١)] -رحمه ا - أن قول أحدنا: "سقت الإنسان أسوقه سوقاً، إذا أصبت ساقه، وتساوقت الإبل تساوقاً؛ إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة متساوقة، والسويق معروف"[(٢)].

يقول ابن فارس[(٣)] -رحمه ا -: "السين والواو والقاف أصلٌ واحد وهو حدو الشيء. يقال: ساقه يسوقه سوقاً، والسيقة: ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها، واستقته، والسوق مشتقة من هذا؛ لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، وإنما سميت بذلك لأن الإنسان ينساق عليها"[(٤)].

وقال الراغب الأصفهاني-رحمه ا -: "سوق الإبل: جلبها وطردها، يقال: سقته فانساق...، وسقت المهر إلى المرأة، وذلك أن مهورهم كانت الإبل"[(٥)].

وقال العلامة الزمخشري-رحمه ا -: "تساوقت الإبل تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا كلام مساقه كذا، وجئتك الحديث عن سوقه؛ على سرده"[(٦)].

إذن يلاحظ بأن معنى (السياق) في اللغة يدور حول معنى التتابع، والانتظام في الحركة؛ لبلوغ غاية أو هدف منشود، وهذه الحركة مستمرة متصلة غير منقطعة؛ فسوق الإبل يكون بمشيها بحركة منتظمة بعضها خلف بعض؛ لتبلغ المكان المراد لها أن تبلغه، وساق الإنسان يتحرك بوساطتها بحركات منتظمة متتابعة؛ ليبلغ مكاناً محدداً يراد التواجد فيه فهي تسوق صاحبها وتقوده، وسياق المرأة: مهرها، إما أن يكون من الإبل؛ فمعنى السوق فيه ظاهر، وإما أن يكون من الدنانير؛ فمعنى السوق فيه يظهر من خلال تتابع الدنانير المدفوعة وانتظام حركتها، وكذلك السوق، سمي سوقاً؛ لأن السوق والأقدام تتزاحم فيه، ولأن البضائع تساق إليه

---

(١) هو محمد بن أحمد اللغوي الشافعي، ارتحل في طلب العلم، نبغ في اللغة والفقه، ثقة ثبت بين العلماء، له تصانيف منها: تهذيب اللغة، وعلل القراءات. توفي سنة: ٣٧٠هـ (ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٦، صـ٣١٥-٣١٧).

(٢) الأزهري، محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، ط بلا، ١٦م، (تحقيق: عبد السلام هارون)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ج٩، صـ٢٣٤.

(٣) هو أحمد بن فارس، أبو الحسين القزويني، اللغوي المحدث، كان رأساً في الأدب، بصيرا بفقه المالكية، جمع إتقان أهل العلم إلى الكتابة والشعر، توفي سنة: ٣٩٥هـ (ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٧، ١٠٣).

(٤) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، صـ٤٧٦.

(٥) الراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني (ت: ٥٠٣هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط٣، ١م، (تحقيق: صفوان داوودي)، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٢م، صـ٤٣٦.

(٦) الزمخشري، محمد بن عمر(ت: ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، ط بلا، ١م، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٤م، صـ٣١٤.

متتابعة؛ لتُعرض للبيع، وأما عن قولنا: "سياق الحديث"؛ فإن فيه معنى التتابع، والحركة المنتظمة لغاية مرادة، وذلك بملاحظة الألفاظ التي يطلقها المتكلم، وهي محملة بالمعاني المركوزة في النفس والمراد التعبير عنها؛ فتتابع هذه الألفاظ والنطق بها بانتظام؛ لبلوغ هدف مراد، هو إيصال المعنى المعبر عنه للمتلقي.

هذا وقد ورد جذر كلمة السياق – سوقَ- سبع عشر مرة في القرآن الكريم[١]، وورد ذكره في السنة النبوية مراراً، ويلاحظ أن مدارات معناها لا تخرج عن الأمور التالية:

١. انتقال الشيء أو الشخص من مكان إلى آخر.
٢. العضو أو الجزء من الشيء مثل ساق النبات، والإنسان.
٣. الأماكن المخصصة للبيع والشراء.

---

[١] وهي كالأتي: (سقناه): في سورة الأعراف: ٥٠٧، فاطر: ٩، (نسوق) في سورة مـريم:٨٦، الـسجدة: ٢٧، (سيق): الزمر:٧١، ٧٣، (يساقون): الأنفال:٦، (سائق): ق:٢١، (المساق): القيامة: ٣٠، (الـساق): القلـم:٤٢، القيامة: ٢٩، (ساقيها): النمل:٤٤، (بالسوق): ص:٣٣، (سوقه): الفتح: ٢٩، (الأسواق): الفرقان: ٧، ٢٠.

ثانيا: تعريف السياق اصطلاحاً

لم يعن العلماء المتقدمون –رحمهم ا تعالى- بتعريف السياق القرآني من الناحية النظرية، بقدر عنايتهم به من الناحية التطبيقية؛ فالباحث في تراثهم العلمي يجد أنه زاخر بالأمثلة العملية التي تبرز أهمية السياق، وأثره في تفسير القرآن الكريم، بينما لن يعثر على تعريف نظري واحد للسياق القرآني.

لذلك حاول بعض الباحثين المحدثين صياغة تعريف علمي للسياق القرآني؛ فمنهم من رأى أنه: "تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المرتبطة؛ لأداء المعنى"[(١)]، يلاحظ بأن هذا التعريف يركز على نظم الألفاظ القرآنية، ويجعل المعاني القرآنية ناشئة عنه؛ وهذا ليس دقيقا، ولا يتناسب مع مفهوم السياق القرآني؛ لأن ترتيب ونظم الألفاظ والجمل في القرآن الكريم تابع لمعنى السياق، لا العكس؛ لأن "النظم في معاني الكلام دون ألفاظها"[٢].

وقيل إنه: "الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنص من القرائن اللفظية والحالية"[(٣)].

هذا التعريف قد حصر السياق القرآني بالغرض الذي يساق الكلام لأجله، وهذا يتعارض مع ما ثبت جلياً من أن السياق في أصل اللغة يهدف إلى غاية محددة مرجوة، وليس هو الغاية ذاتها، كما ويعتبر أن السياق القرآني شامل للمقال والمقام؛ وهذا لا يتناسب مع ماثبت في معنى السياق لغة؛ فالحال مستقل عن المقال، والسياق مختص بالمقال، وهذا لا يعني التقليل من قيمة الحال –أو المقام- في إدراك معنى السياق عامة؛ وإنما العلاقة بين الحال والسياق علاقة تكامل؛ تهدف إلى تأدية المعنى القرآني كاملا صحيحا[٤].

هذا وقد عرفه الدكتور المثنى عبد الفتاح بأنه: "تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية؛ لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"[(٥)].

وترى الباحثة بأن التعريف الأخير هو الأكثر إيفاء لمعنى السياق القرآني؛ لعدة أسباب منها:

---

(١) المطيري، عبد الرحمن عبد ا (٢٠٠٨م)، **السياق القرآني وأثره في التفسير؛ دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير**. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية ، صـ ٧١.

٢ ينظر: الجرجاني، عبد القاهر (ت ٤٧١هـ)، **دلائل الإعجاز**، ط٣، ١م، (قراءة وتعليق: محمود شاكر)، دار المدني، جدة، ١٩٩٢م، صـ٤١٥؛ ومثل هذا التعريف قول من قال: "نظم العناصر اللغوية الذي يعطي لكل عنصر دلالته من خلال موقعه فيه"؛ ينظر: الزين، عماد أحمد (٢٠٠٦م)، **أبو السعود ومنهجه في النحو من خلال تفسيره: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، الأجزاء العشر الأولى من القرآن أنموذجا**. رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، صـ١٦.

(٣) الربيعة، محمد، **أثر السياق القرآني في التفسير؛**
http://www.tafsir.org/vb/showthread.php?t=7177K، ٢٠٠٩/٥/٤.

٤ ينظر: المطيري، **السياق القرآني وأثره في التفسير**، صـ٦٦.

(٥) المثنى عبد الفتاح، **نظرية السياق القرآني؛ دراسة تأصيلية دلالية نقدية**، ط١، ١م، دار الوائل للنشر، عمان، ٢٠٠٨م، صـ١٥.

١. انسجامه مع الأصل اللغوي لكلمة السياق؛ فقد ثبت -مما سبق- أن السياق يحمل معنى الحركة المنتظمة والمتصلة غير المنقطعة بفاصل أجنبي، وهذا ما عبر عنه الدكتور بقوله: " تتابع المعاني وانتظامها... دون انقطاع أو انفصال" أي تتابع المعاني الفرعية بانتظام، من غير تشتت أو تبعثر؛ لخدمة المعنى الأصلي، وهو معنى السورة أو المقطع أو الآية.

٢. إن هذا التعريف يبين العلاقة بين الألفاظ القرآنية والمعاني القرآنية؛ إذ إن الألفاظ أوعية لحمل المعاني[١]، والمعاني من شأنها إيصال الهدي الرباني للمتلقي، وهذا ما قصده الدكتور المثنى بقوله: "لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود"، إذن فنظم الألفاظ تابع للمعاني القرآنية؛ وليس العكس.

٣. كما أن هذا التعريف لا يخلط بين سياق المقال؛ أي تتابع المعاني في الكلام المنطوق، وبين سياق الحال؛ وهو الظروف التي تحيط بالمتلقي، فالسياق القرآني مرتبط بشكل أساسي بالمقال، ويأتي متناسبا مع مقتضى الحال؛ فيتكامل المقال والحال لإيصال المعنى المراد إيصاله للمتلقي.

---

[1] ينظر: الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، صـ٥٢.

المطلب الثاني: أهمية السياق القرآني وعناية العلماء به

أولا: أهمية السياق القرآني

تكمن أهمية السياق القرآني في عدة أمور[١]؛ فمنها:

١- ما يتعلق بالألفاظ:

- يعين على تحديد معاني الألفاظ[٢] وضبطها ضبطاً دقيقا؛ لأنه قد يجتمع للكلمة الواحدة خلال العصور، وتعدد المناسبات في شتى البيئات- أكثر من معنى، وأكثر من دلالة تتصل كلها بالمعنى الأصلي اتصالاً قوياً أو ضعيفاً، قريباً أو بعيداً، وتفيد الكلمة في ذاتها المعاني التي اكتسبتها كلها؛ وكأنها مختزنة فيها، كامنة في تضاعيف حروفها، ويبرز أحدها عند استعمال الكلمة في جملة معينة وسياق محدد من الكلام، وتبقى المعاني الأخرى مخفية[٣].
- ويعين على إبراز بلاغة الألفاظ؛ إذ لا تُوجب الفصاحة للفظة مقطوعة منتزعة من سياقها، ولكننا نوجبها لها موصولة بغيرها من الألفاظ، ومعلّقاً معناها بمعنى ما يليها[٤].

٢- ما يتعلق بالتفسير:

- يعين على فهم وإدراك الخطاب القرآني، حيث إن هذا الخطاب نزل بلغة العرب، وكلام العرب كما يقول الأنباري[٥] -رحمه ا تعالى-: " يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حرفه"[٦]، وكذلك يعين على فهم الأحكام الشرعية، والحكم الربانية الكامنة خلفها، يقول الإمام الفراهي[(٧)] -

---

[1] النماذج التطبيقية من تفسير أبي السعود على هذه الآثار ستكون في الفصل الثاني من هذه الرسالة–بإذن ا -.

[2] ينظر: حسان، تمام، **البيان في روائع القرآن**، ط٢، ١م، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج١، صـ٣٧٠.

[3] ينظر: المبارك، محمد، **فقه اللغة العربية؛ دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية، وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد**، ط٧، ١م، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، صـ ١٨٢-١٨٣، ٢١١؛ وينظر مثاله: ابن قتيبة، عبد ا بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، **تأويل مشكل القرآن**، ط بلا، ١م، (تحقيق: السيد أحمد صقر)، مكتبة التراث، القاهرة، ٢٠٠٦م، صـ٤١٥-٤١٦.

[4] ينظر: الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، صـ ٤٠٢؛ وينظر: مجاهد، عبد الكريم، **الدلالة اللغوية عند العرب**، ط بلا، ١م، دار الضياء، بيروت، ١٩٨٥م، صـ ٧١؛ وينظر مثال عليه: الجرجاني، المصدر نفسه، صـ٤٦.

[5] وهو أبو بكر الأنباري محمد بن القاسم، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أفضل الناس حفظا للشعر والأخبار، له تصانيف منها: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب ا عز وجل، وشرح الألفات، توفي في بغداد سنة: ٣٢٨هـ(ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٥، صـ٢٧٤-٢٧٦)

[6] الأنباري، محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ)، **الأضداد**، ط بلا، ١م، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م، صـ٢.

[(٧)] هو أبو أحمد عبد الحميد الأنصاري، ولد سنة: ١٢٨٠هـ، في قرية فُريها بالهند، طلب العلم وتعلم القرآن في صغره، واشتغل في طلب العربية، كان واسع العلم والثقافة، له مصنفات عديدة؛ منها: فقه القرآن، إمعان في =أقسام القرآن، توفي سنة: ١٣٤٩هـ (ينظر: الفراهي، **دلائل النظام**، ترجمة سليمان الندوي، دار المصنفين، الهند، ١٣٤٩هـ).

رحمه ا تعالى-: "إذا نظرت في نظم الآيات ومطالبها، والسور وعمدها؛ هديت إلى نظم الشرائع والأحكام"[1]، ويساعد على سلوك الطريق القويم في التفسير، بعيدا عن أي خلل أو زلل، وهو حجة قوية في الرد على الفرق الضالة التي تفسر الآيات تفسيرات مذهبية لا اتصال لها بالسياق؛ وبهذا نتخلص من أهم أسباب التشرذم والنزاع المذهبي بين المسلمين[٢].

- يعين على إدراك المناسبات بين آيات القرآن الكريم وسوره؛ فكل سورة من سور القرآن تحتوي آيات مترابطة منسجمة فيما بينها، وهذه العلاقة – علاقة الانسجام- تعلل ترتيب الآيات وتسلسلها في حدود السورة الواحدة، وكذلك السور القرآنية توجد هناك علاقة فيما بينها من حيث المعنى والمقصد؛ وللسياق القرآني الدور الأكبر في الكشف عن هذه العلاقات[٣].
- يعين المفسر على ترجيح أو تضعيف الأقوال التفسيرية؛ فهو المعول عليه في كثير من الاختلافات التفسيرية[٤].
- له أهمية كبيرة في توجيه المتشابه اللفظي، ومعرفة اللطائف الكامنة خلف إيراد الآية أو القصة في صور شتى وفواصل مختلفة[5]، ويعتمد العلماء عليه في إبراز الإعجاز القرآني؛ فلكل لفظ مكانه "الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه؛ إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة"[٦].

٣- ما يتعلق بعلم القراءات والتجويد:

- يعين المفسر في توجيه القراءات القرآنية[٧].

---

[1] الفراهي، عبد الحميد (ت ١٣٤٩هـ)، **دلائل النظام**، ط١، ١م، المطبعة الحميدية، الهند، صـ٣٦.

[2] ينظر: الحارثي، عبد الوهاب أبو صفية، **دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم**، ط١، ١م، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، عمان، ١٩٨٩م، صـ١٩، ٢٢.

[3] ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، ط١، ٧م، (تحقيق مركز الدراسات القرآنية)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ، ج5، صـ١٨٤٦.

[4] ينظر: عباس، فضل حسن، **التفسير أساسياته واتجاهاته**، ط١، ١م، مكتبة دنديس، عمان، ٢٠٠٥ م، صـ ٣١١؛ وينظر: المثنى عبد الفتاح، **نظرية السياق القرآني**، صـ٢٠٠.

[5] ينظر: المثنى عبد الفتاح، المرجع نفسه، صـ١٦٥.

[6] الخطابي، حمد بن محمد (ت ٣٨٨هـ)، **بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، ط بلا، ١م، (تحقيق: محمد خلف ا ومحمد سلام)، دار المعارف، مصر، صـ٢٦.

[7] ينظر: المطيري، **السياق القرآني وأثره في التفسير؛ دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير**، صـ١٧٨.

- بيان المواضع المناسبة للوقف والابتداء؛ لأن من تمام معرفة القرآن الكريم معرفة الوقف والابتداء؛ إذ لا يتأتي لأحد معرفة معاني القرآن إلا بمعرفة فواصله؛ ليتم الوقف والابتداء بما لا يخل بالمعنى ولا يخل بالفهم؛ لذلك صحابة رسول ا صلى ا عليه وسلم -رضي ا عنهم- يتجنبون القطع على كلام يتصل بعضه ببعض، ويرتبط أوله بآخره[١].

٤- ما يتعلق بعلوم القرآن الكريم:

- يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة[(٢)].
- يعين على معرفة المكي والمدني من السور والآيات؛ لأن لكل منهما سياقه وأسلوبه الخاص به[٣].
- يلعب دورا مهما في قبول روايات أسباب النزول أو ردها، وتحديد زمن نزول الآيات والسور القرآنية[٤]، وفي التخلص من كثير من الروايات، التي تبتعد عن السياق في موضوعه ونظمه، ولا تصلح أن تكون تفسيرا له، وبخاصة ما كان منها ضعيفا أو من الإسرائيليات، يكشفها حتى ولو رويت عن الصحابة أو التابعين[5].

---

[1] ينظر: الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ)، **الوقف والابتداء في كتاب ا عز وجل**، ط ، ٢م، (تحقيق: محيي الدين رمضان)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧١م، ج١، صـ١٠٨؛ وينظر: الداني، أبو عمرو عثمان (٤٤٤هـ)، **المكتفى في الوقف والابتدا**، ط١، ١م، (تحقيق: محيي الدين رمضان)، دار عمار،عمان، ٢٠٠١م، صـ٥؛ وينظر: ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ)، **النشر في القراءات العشر**، ط٣، ١م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م، ج١، صـ١٧٧.

[(٢)] ينظر: السلمي، عبد العزيز بن سلام (ت: ٦٦٠ هـ)، **الإمام في بيان أدلة الأحكام**، ط١، ١م، (تحقيق ودراسة: رضوان غربية)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٧م، صـ ١٥٩.

[3] ينظر: عباس، فضل حسن، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ط١، ٢م، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٧م، ج١، صـ ٣٨٠-٣٨١، ٣٩٣؛ ينظر: المثنى عبد الفتاح، **نظرية السياق القرآني**، صـ١٥٥-١٥٦.

[4] ينظر: عباس، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ج١، صـ ٢٥٣،٣٢٠؛ ينظر: المثنى عبد الفتاح، المرجع نفسه، صـ١٤٨-١٤٩؛ وينظر: الشتوي، فهد بن شتوي (٢٠٠٥)، **دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى**υ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، المملكة العربية السعودية، صـ٧٧.

[5] ينظر: الحارثي، **دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم**، صـ١٩، ٢٢.

ثانيا: عناية العلماء بالسياق القرآني

لم تكن العناية بالسياق القرآني وليدة هذا العصر، وإنما برز الاهتمام به منذ عصر النبي ρ، وصحابته رضي ا عنهم، ولقد ظهر هذا الاهتمام من خلال الجانب التطبيقي.

ومن الأمثلة على عناية النبي صلى ا عليه وسلم بالسياق:

قوله صلى ا عليه وسلم للسيدة عائشة رضي ا عنها، عندما سألته عن معنى قول ا تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾ (المؤمنون: ٦٠)، قالت: "هم الذين يشربون الخمر ويسرقون"، قال: "لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم خائفون أن لا يتقبل منهم، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ (المؤمنون:٦١)"[(١)]، إن لهذه الآية الكريمة -بمعزل عن سياقها- فهمان: إما أن يكون المقصود بهم الذين يعملون المعاصي، وهم خائفون من ا عز وجل ؛ وهذا ما فهمته السيدة عائشة رضي ا عنها، وإما أنهم الذين يعملون الطاعات؛ وهم يخشون ألا يقبلها ا عز وجل منهم.

وبتأمل الآيات الكريمة نجد أن سياقها يدور حول بيان حال من له المسارعة في الخيرات إثر إقناط الكفار عنها، وإبطال حسبانهم الكاذب[٢]؛ وهذا المعنى هو الذي بينه النبيρ؛ مستدلا بلحاق الآية على المراد، وهذا الأنموذج يعلّمنا ضرورة فهم الآيات في ظل سياقها.

ومما يبرز أهمية السياق القرآني عناية سلفنا الصالح به؛ إذ ورد عن الإمام مسلم بن يسار[(٣)]τ أنه قال: "إذا حدثتَ عن ا حديثاً فقف، حتى تنظر ما قبله وما بعده"[(٤)].

هذا بالنسبة لعصر النبوة وعصر التابعين، أما عن عناية العلماء –رحمهم ا - بالسياق القرآني فهي تتجلى من خلال ما سجلوه لنا في كتبهم ورسائلهم العلمية من تنبيه إلى أهمية السياق القرآني، وأثره في تفسير القرآن الكريم، وخطورة الإعراض عنه عند النظر في كلام ا عز وجل ؛ فقد عنْون الإمام الشافعي-رحمه ا تعالى- باباً في كتاب (الرسالة) باسم: (الصنف

---

(١) رواه: الترمذي، أبو موسى محمد (ت ٢٩٧هـ)، **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي،** كتاب: تفسير القرآن، الباب: ومن سورة المؤمنون، رقم الحديث: (٣١٧٥)، ط٢ ،٥م، (تحقيق: إبراهيم عوض)، مطبعة مصطفى البابي الجلبي وأولاده، مصر، ١٩٧٥م، ج٥، ص ٣٢٧.

2 ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم،** ج٤، ص ٤٢١.

(٣) هو أبو عبد ا ، تابعي جليل، فقيه ناسك من رجال الحديث، أصله من مكة المكرمة، سكن البصرة وكان مفتيها، توفي سنة: ١٠٠هـ (ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء،** ج٤، ص ٥١٠)

(٤) ينظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت: ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم،** ط٢، ٤م، دار السلام، الرياض، ١٩٩٨م، ج١، ص٢٣.

الذي يبين سياقه معناه)، وهو بهذا أول من استخدم مصطلح (السياق) بشكل صريح، إذ أورد تحت هذا الباب أمثلةً كثيرة تبين دور السياق القرآني في فهم القرآن الكريم[١].

ومن بعد الإمام الشافعي جاء الإمام الخطابي[٢]–رحمه ا -، إذ كان يعتمد على السياق القرآني في إبراز بلاغة القرآن وإعجازه، حيث يقول: "إعلم أن عمود هذه البلاغة التي تجمع لها هذه الصفات، هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام- موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أُبدل مكانه غيره جاء منه؛ إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة"[٣]؛ يلاحظ أن الإمام جعل عمود البلاغة وأساسها أن يوضع لكل معنى وسياق ما يناسبه من اللفظ، وما هو به أخص وأولى؛ وهذا أمر يحتاج إلى الدربة والدراية والمعرفة[٤].

ومن الأعلام الذين اهتموا بالسياق، وأبرزوا أثره في التفسير: الإمام العز بن عبد السلام[٥] - رحمه ا - ، يقول: "السياق مرشد إلى تبيين المجملات وترجيح المحتملات، وتقرير الواضحات، وكل ذلك بعرف الاستعمال؛ فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحاً، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذماً، فما كان مدحا بالوضع ووقع في سياق الذم؛ صار ذماً، واستهزاء وتهكماً بعرف الاستعمال، ومثاله: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ (الدخان: ٤٩) أي الذليل المهان؛ لوقوع ذلك في سياق الذم"[٦].

ويضيف الإمام ابن القيم -رحمه ا تعالى- على ما تفضل به الإمام العز بن عبد السلام السلمي، أن السياق يرشد إلى "تخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته؛ فانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ (الدخان: ٤٩) كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل

---

(١) ينظر: الشافعي، محمد بن إدريس (٢٠٤هـ)، **الرسالة**، ط١، ١م، (شرح وتعليق: عبد الفتاح كبارة)، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩م، صـ٦٤.

2 الخطابي هو حمد بن محمد البستي، فقيه محدث، له تصانيف عديدة منها: معالم السنن، إصلاح غلط المحدثين... توفي سنة: ٣٨٨هـ (ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**، صـ ٤٧١-٤٧٢).

(٣) الخطابي، **بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، صـ٢٦.

4 ينظر: عباس، فضل حسن(١٩٨٧م)، **بيان إعجاز القرآن للخطابي، تحليل ومقارنة ونقد.** مجلة دراسات، ١٤ (١٠): ٢٤٣.

(٥)هو عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي السلمي، الملقب بـ(سلطان العلماء)، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، تولى الخطابة والتدريس في زوايا الغزالي في دمشق، من مصنفاته: قواعد الأحكام في إصلاح الأنام، التفسير الكبير. توفي سنة: ٦٦٠هـ(ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**، صـ٥٢٢- ٥٢٤).

(٦) السلمي، **الإمام في بيان أدلة الأحكام**، صـ١٥٩-١٦٠.

الحقير"[١]، إذن فالإمام ابن القيم يشير إلى أهم الأسباب التي تؤدي بالناظر في كتاب الله تعالى إلى هاوية الانحراف، والتفسير البدعي؛ ألا وهو إهمال السياق القرآني، وعدم العناية به!

ومن بعده الإمام الزركشي- رحمه الله تعالى- الذي عني بالسياق القرآني وبين قيمته في إبراز الإعجاز القرآني؛ يقول: "ومما يبعث على معرفة الإعجاز اختلاف المقامات، وذكر في كل موضع ما يلائمه، ووضع الألفاظ في كل موقع ما يليق به، وإن كانت مترادفة، حتى لو أبدل منها واحد بالآخر؛ ذهبت تلك الطلاوة، وفاتت تلك الحلاوة"[٢]، ويدعو في موضع آخر إلى ضرورة التزام المفسر بالسياق، وتحري ما يناسبه من معاني؛ يقول: "وليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي؛ لثبوت التجوز؛ ولهذا ترى صاحب الكشاف، يجعل الذي سيق له الكلام معتمدا، حتى كأن غيره مطروح"[٣]، فالإمام الزركشي يشيد بمنهج الإمام الزمخشري –رحمه الله- في تفسيره الكشاف؛ إذ كان ينضبط بالجو السياقي للآيات أثناء تفسيره لكلام الله عز وجل .

هذه نبذة يسير تبرز عناية علمائنا –رحمهم الله تعالى- بالسياق القرآني، بصفته أصلاً من أصول التفسير التي لا يمكن إغفالها، وليس المقام هنا مقام حصر لأقوال العلماء في شأن عنايتهم بالسياق القرآني، وإنما هي إشارة سريعة تعكس أهمية السياق وقيمته في نظرهم، ومدى تمسكهم فيه بوصفه ضابطاً لا يستغني عنه المفسر ولا –حتى- الناظر في كتاب الله تعالى.

---

[١] ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر(ت ٧٥١هـ)، **بدائع الفوائد**، ط١، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م، ج٤، صـ٢٢٢.
[٢] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج٢، صـ١١٨.
[٣] الزركشي، المصدر نفسه، ج١، صـ٣١٧.

المطلب الثالث: أنواع السياق القرآني

يقول الأستاذ عبد الوهاب الحارثي: "السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليه، بمعنى أن هناك: سياق آية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني؛ فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى؛ ولذا فإن من واجب المفسر أن لا يغفل عن هذا الارتباط وهذه الأبعاد"[١].

ومن هذا يلاحظ أن للسياق القرآني أربعة أنواع من حيث العموم والخصوص: سياق القرآن عامة، وسياق السورة، وسياق المقطع، وسياق الآية الواحدة؛ وهذه مجتمعة تتخذ شكل الدوائر المتداخلة، تتعاضد؛ لإيصال المعنى.

ويمكن تقسيمه أيضاً من حيث الترجيح؛ وفيما يلي بيان موجز لهذه الأنواع:

أولا: أنواع السياق القرآني من حيث العموم والخصوص:

١. سياق القرآن الكريم عامة

وهو يشمل الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور حولها معاني القرآن الكريم، وكلياته والأساليب التي شاعت في ثناياه[٢]، مثاله ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل قول الله عز وجل : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(الأنعام: ٨٢) شق ذلك على أصحاب رسول الله ρ، فقالوا: "وأينا لم يلبس إيمانه بظلم؟؛ فقال رسول الله ρ: "إنه ليس بذلك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان: ١٣) "[٣]، إذن فالنبي صلى الله عليه وسلم قد اعتمد على سياق القرآن الكريم؛ لتفسير ما أشكل فهمه على الصحابة رضي الله عنهم، وهذا المنهج في التفسير من أقوى المناهج؛ إذ يتم فيه فهم القرآن في ضوء القرآن نفسه[٤].

---

[1] الحارثي، **دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم**، صـ٨٨.

[2] ينظر: الحارثي، المرجع نفسه، صـ٨٨.

[(٣)] رواه: البخاري، **الجامع الصحيح متن فتح الباري**، كتاب: التفسير، باب: (لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)، حديث رقم: (٤٧٧٦)، ج٨، صـ٥١٢.

[4] ينظر: الحارثي، المرجع نفسه، صـ٩١.

٢. سياق السورة القرآنية

وهو الغرض العام أو المحور الرئيس الذي تدور حوله معاني الآيات والمقاطع في السورة الواحدة؛ مما يجعل لكل سورة في القرآن الكريم كياناً مستقلاً عن غيرها من السور، "ولو أنك أدغمت آيات من سورة كريمة إلى آيات من سورة أخرى؛ لوجدت –حتى مع اتحاد الموضوع- نشازاً منكراً لا يقبله ذوق، أو يستسيغه منطق... حاول أن تلحق نصاً من هذه بنص من تلك؛ فستجد من الانفصام والتخاذل ما يمنعك أن تقوم جاداً بهذه المحاولة، هذا والموضوع هو الموضوع"[(١)].

وكما أن لكل سورة سياقها الخاص بها؛ فلها أيضا وحدتها الموضوعية التي تميزها؛ والفرق بين سياق السورة ووحدتها الموضوعية دقيق جدا، يكمن في منهجية دراسة كل منهما؛ فدراسة سياق السورة يعتمد الجانب العلمي التفسيري التفصيلي؛ وذلك لإبراز وحدة المعنى من خلال الدلالات السياقية، أما الوحدة الموضوعية فهي تعتمد الجانب الفكري النظري؛ لإبراز الوحدة العضوية للسورة[٢].

ولقد عني علماؤنا –رحمهم ا عز وجل - بهذا النوع من السياق، ومنهم الإمام الرازي وأبو حيان والبقاعي[٣] –رحمهم ا تعالى-؛ والذي كان حريصا من خلال كتابه (نظم الدرر على بيان التناسب بين الآيات والسور؛ آخذا بعين الاعتبار السياق القرآني بأنواعه.

٣. سياق المقطع

إن كل سورة في القرآن الكريم تتضمن مقاطع ونصوصاً مترابطة المعاني، لها أغراض محددة، تتناول موضوعا واحدا تاما متكاملا، تنسجم معانيها وتتناسق بمجموعها مع سياق السورة العام الذي يضمها، والسور القرآنية متفاوتة في عدد مقاطعها؛ فمنها متعدد المقاطع، مثل سورة البقرة، وبعضها غير متعدد المقاطع مثل سورة الكوثر[(٤)].

يظهر أثر هذا النوع من السياق في القرآن من خلال القصص وآيات الأحكام الشرعية.

---

(١) البيومي، محمد رجب (ت ٢٠٠٦م)، **البيان القرآني**، ط بلا، ١م، دار النصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧١م، صـ١٨٣.

2 ينظر: المثنى عبد الفتاح، **نظرية السياق القرآني**، صـ٨٩.

3 هو إبراهيم بن عمر الرباط، المحدث المفسر الإمام العلامة المؤرخ، أصله من بقاع سوريا، سكن دمشق، ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، من مؤلفاته: الباحة في علمي الحساب والمساحة، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور؛ وكلاهما مخطوط. توفي سنة: ٨٨٥هـ (ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**، صـ٥٠٩-٥١٠).

(٤) ينظر: المثنى عبد الفتاح، المرجع نفسه، صـ٨٧-٨٨.

٤. سياق الآية

وهذا أخص أنواع السياق القرآني؛ إذ ينظر فيه إلى المعنى العام الذي ينتظم الآية الواحدة؛ ليتم تفسير الألفاظ والتراكيب فيها؛ بما ينسجم مع سياقها العام، ويلائم سياق الآيات السابقة واللاحقة المرتبطة بها.

ثانيا: أنواع السياق القرآني من حيث الترجيح:

إن أي نوع من أنواع السياق يتضمن السباق واللحاق[1]؛ فالسباق هو ما يسبق الآية أو المقطع أو السورة من آيات، واللحاق هو ما يلحقها من الآيات، إلا أن سياق القرآن العام لا يتصور فيه وجود طرفين؛ سباق ولحاق؛ نظرا لعموميته، وعلى ضوء هذا يمكن تقسيم السياق إلى ثلاثة أقسام من حيث الترجيح؛ إلى: ترجيح بالسباق، وترجيح باللحاق، وترجيح بالسباق واللحاق.

١. ترجيح بالسباق:

وهو أن تترجح دلالة لفظ أو آية على أخرى من خلال سباقها.

٢. ترجيح باللحاق:

وهو أن تترجح دلالة لفظ أو آية على أخرى من خلال لحاقها.

٣. ترجيح بسباق ولحاق:

وهو أن يكون المعنى محفوفا بترجيحات وتوضيحات تقويه وتدعمه من جانبي السباق واللحاق؛ فيترجح في سياقه على غيره من الدلالات والمعاني.

وسيأتي لاحقا بسط الأمثلة عليها من تفسير الإمام أبي السعود إن شاء ا تعالى.

---

[1] ينظر: المثنى عبد الفتاح، **نظرية السياق القرآني**، صـ١١٦.

الفصل الثاني: أثر السياق في تفسير أبي السعود العمادي وقيمته العلمية؛ وهو في أربعة مباحث:

المبحث الأول: أثر السياق القرآني عند أبي السعود في المناسبات وإيثار مفردة أوصيغة على أخرى؛ وفيه أربعة مطلبان:

المطلب الأول: أثر السياق في إبراز المناسبات؛ من حيث:

أولاً: المناسبة بين الآية والسياق الذي وردت فيه

ثانياً: المناسبة بين الفاصلة القرآنية والسياق الذي وردت فيه

ثالثاً: المناسبة بين المقاطع في السورة القرآنية

رابعاً: مناسبة خاتمة السورة لسياقها العام

خامساً: مناسبة القصص للسياق الواردة فيه

المطلب الثاني: أثر السياق في إيثار مفردة أو صيغة على أخرى

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني عند أبي السعود في تحديد مرجع الضمير وتقدير المحذوف؛ وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أثر السياق في تحديد مرجع الضمير

المطلب الثاني: أثر السياق في تقدير المحذوف

المبحث الثالث: أثر السياق القرآني عند أبي السعود في الترجيح؛ وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الترجيح بين الروايات التفسيرية

المطلب الثاني: الترجيح بين الآراء التفسيرية

المطلب الثالث: الترجيح بين القراءات القرآنية

المطلب الرابع: الترجيح بين وجوه الإعراب

المبحث الرابع: أثر السياق القرآني عند أبي السعود في توجيه المتشابه اللفظي؛ من حيث:

المطلب الأول: التعريف والتنكير

المطلب الثاني: الحذف والذكر

المطلب الثالث: التقديم والتأخير

المطلب الرابع: تعليل التكرار اللفظي

المبحث الخامس: القيمة العلمية لتطبيقات أبي السعود في مراعاته للسياق القرآني في تفسيره

الفصل الثاني: أثر السياق في تفسير أبي السعود العمادي وقيمته العلمية

توطئة

تبين مما سبق الأهمية التي يتمتع بها السياق القرآني، والتي دفعت العلماء إلى العناية به؛ وفي هذا الفصل سأعرض تطبيقات عملية تبين مجتمعة الخطوط العريضة لمنهج أبي السعود في إبراز أثر السياق في تفسيره، وبداية سأعرض **أهم** المصطلحات التي استخدمها أبو السعود في سفره القيم (إرشاد العقل السليم)، والتي لها صلة بالسياق القرآني، وهي كما يأتي[١]:

أولا: الألفاظ التي عبر بها عن السياق عامة:

- (سوق الكلام)[٢].
- (السياق)[٣] و(المساق)[٤] و(المقام)[٥].
- وهناك مصطلح (النظم)؛ وهو في أصل اللغة: "يدل على تأليف شيء وتكثيفه"[٦]، وهو أكثر المصطلحات ورودا في تفسير أبي السعود، والتي يعبر بها عن السياق[٧].

ثانياً: مصطلحات يعبر بها عن السباق واللحاق:

- (ما سبق وما لحق)[٨]؛ والمقصود الآيات التي جاءت قبل الآية المفسرة، والآيات التي تبعتها[٩].
- (سباق النظم وسياقه)[١٠].
- (السباق)[١١].
- (الأنسب بما قبله وما بعده)[١٢]؛ وهذه العبارة تكثر عند ترجيح الإمام بين أقوال تفسيرية أو لغوي وغيرها.

---

1 سيتم هنا عرض كل مصطلح، مع إحالة على أمثلة وشواهد من تفسير أبي السعود، أو مما هو مبسوط في هذه الدراسة.

2 ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٢، ص ـ ٢٦١.

3 ينظر مثاله مبسوطا في هذه الدراسة: ص ـ٦٦، ٧٥؛ وسبق التعريف بهذا المصطلح.

4 ينظر: العمادي، المصدر نفسه، ج٢، ص ـ٤١٣،٤١٠، وينظر: مثاله مبسوطا في هذه الدراسة: ص ـ ٦١.

5 مثاله مبسوطا في هذه الدراسة: ص ـ٦٩، ٧٤.

6 ابن فارس، **مقاييس اللغة**، ص ـ٩٩٦.

7 ينظر مثاله مبسوطا في هذه الدراسة: ص ـ ٧٣،٨٠.

8 ينظر: العمادي، المصدر نفسه، ج٥، ص ـ١٩٣؛ ج٢، ص ـ١٩٣؛ و ينظر مثاله مبسوطا في هذه الدراسة: ص ـ ٧٠،

9 سبق التعريف بكل من هذين المصطلحين.

10 ينظر مثاله مبسوطا في هذه الدراسة: ص ـ٧٣.

11 ينظر مثاله مبسوطا في هذه الدراسة: ص ـ٦٦، ٧٥.

12 ينظر: العمادي، المصدر نفسه، ج٢، ص ـ٤٩٦؛ وينظر مثاله مبسوطا في هذه الدراسة: ص ـ ٨٠.

المطلب الأول: أثر السياق في إبراز المناسبات

إن علم المناسبات يعد من أهم علوم القرآن الكريم وأشرفها، وهو كما عرفه الإمام البقاعي: "علم تعرف منه علل الترتيب، وموضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيث الترتيب، وثمرته: الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء؛ بسبب ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب، فعلم مناسبات القرآن: علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة"[١]؛ إذن فهذا العلم من شأنه أن يكشف عن العلاقات التي تربط أجزاء الخطاب القرآني ببعضها، مما يجعل تأليفه مترابطا؛ حاله حال البناء المحكم المتماسك، ويكشف أيضا عن ترابط السور القرآنية فيما بينها، وعن ترابط مقاطع وأشواط السورة الواحدة، وعن علاقات الآيات القرآنية المتجاورة مع بعضها، وكذلك علاقة الفاصلة القرآنية بالآية نفسها.

يلاحظ أن هذا العلم يرتكز بشكل أساسي على السياق؛ وعلاقته بالسياق علاقة وثيقة؛ إذ لا يتسنى معرفة المناسبات دون اللجوء إلى السياق القرآني؛ "إذ إن علم المناسبات يبحث في بيان وجه ارتباط الآيات بعضها ببعضا الآخر في سياقها، والسياق هو الضام لتلك الآيات بما تحمله من معان وحقائق، فبيان وجه مناسبة الآيات: هو بيان وجه اتساقها وانتظامها في السياق؛ أي إن السياق هو الكاشف عن وجه المناسبة"[٢]؛ إذن السياق ضروري في إدراك المناسبات بين آيات القرآن الكريم وسوره؛ فكل سورة من سور القرآن تحتوي آيات مترابطة منسجمة فيما بينها، وهذه العلاقة –علاقة الانسجام- تعلل ترتيب الآيات وتسلسلها في حدود السورة الواحدة، وكذلك السور القرآنية توجد هناك علاقة فيما بينها من حيث المعنى والمقصد؛ والسياق القرآني هو الذي يكشف عن هذه العلاقات[٣].

ولقد عني العلماء بعلم المناسبات، فلا يخلو كتاب تفسير قديماً وحديثاً من الإشارة إلى ربط الآيات والسور مع بعضها؛ وكان الإمام الرازي من طليعة المفسرين المتقدمين الذين عنوا بهذا العلم، إذ كان من أوائل من استخدموا مصطلح (المناسبة) في تفسير القرآن الكريم، وتبعه كثير

---

[1] البقاعي، برهان الدين، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط بلا، ٢٢م، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، سنة بلا، ج١، صـ٥-٦.

[2] المثنى عبد الفتاح، **نظرية السياق القرآني**، صـ٣٩-٤٠.

[3] ينظر: الزركشي، **البرهان**، ج١، صـ٣٥-٣٦؛ وينظر: العبيدي، محمد عبد ا ، **دلالة السياق في القصص القرآني**، ط بلا، ١م، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م، صـ٢٠١؛ وينظر: المثنى عبد الفتاح، المرجع نفسه، صـ٤٠.

من العلماء؛ من أبرزهم العلامة العمادي في تفسيره الجليل؛ فقد عني بتحديد المناسبات البديعة بين الفاصلة القرآنية وسياق الآية التي وردت فيها، وبين كل آية وسياقها الذي وردت فيه، ويبين المناسبة بين المقاطع في السورة الواحدة، وقد عني أيضاً ببيان علاقة خاتمة السورة بمقدمتها وسياقها، وكذلك أشار أحيانا إلى علاقة خاتمة السورة بفاتحة السورة التي تليها؛ ومن النماذج العملية على ذلك من تفسيره الجليل (إرشاد العقل السليم) ما يأتي:

أولاً: المناسبة بين الآية والسياق الذي وردت فيه

هناك ترابط وعلاقة وثيقة بين الآيات في السورة الواحدة؛ فلكل سورة شخصيتها الذي تدور المقاطع حولها، ولها مقدمة هي بمثابة الافتتاحية المتضمنة للخطوط العريضة التي ستعرض في ثناياها، وخاتمة تلخص المعاني الرئيسة التي عرضت في السورة[1]؛ وهذا ما كان يحرص العلامة العمادي على إبرازه في أثناء تفسيره لكتاب الله تعالى، ومن الأمثلة التطبيقية على ذلك؛ ما ورد في تفسيره عند قول الله عز وجل: ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٤٧)؛ إذ بين مناسبة هذه الآية لسباقها؛ وهو قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء: ١٤٦)؛ لقد وردت هذه الآيات في سياق تعداد جنايات المنافقين وقبائحهم وحقيقتهم، والتحذير من موالاتهم، وهنا يبين أبو السعود أثر السياق في الكشف عن العلاقة بين هذه الآية وسباقها؛ فيقول: "استئناف مسوق لبيان أن مدار تعذيبهم وجوداً وعدماً إنما هو كفرهم لا شئ آخر، فيكون مقرراً لما قبله من إثابتهم عند توبتهم"[2]، يظهر جليا كيفية ربط الإمام الآية بما ورد في سباقها من حديث عن حكم من تاب من النفاق ورجع عنه، فأسباب التعذيب إذا انتفت؛ ينتفي التعذيب نفسه، وما الله بظلام للعبيد؛ فهذا من قبيل حث المنافقين على ترك النفاق والإقبال على التوبة؛ وهكذا تُدرك هذه العلاقة بين الآية وسباقها ومدى التلاحم فيما بينها وبين السياق الذي جاءت فيه.

وعند قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ

---

[1] ينظر: الفراهي، **دلائل النظام**، صـ ٧٤-٧٥.
[2] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٢، صـ ٢١٢.

يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴾ (الحج: ١٤ – ١٥) لقد وردت هذه الآيات في سياق بيان كمال حسن حال المؤمنين العابدين له تعالى، وأن ا عز وجل يتفضل عليهم بما لا غايةَ وراءه من أجل المنافع وأعظمِ الخيراتِ، إثر بيان غايةِ سوءِ حال الكفرةِ ومآلِهم من فريقَي المجاهرين والمذبذبين وأن معبودهم لا يجديهم شيئاً من النفع بل يضرهم مضرةً عظيمةً وأنهم يعترفون بسوءِ ولايته وعشرته ويذمونه مذمةً تامة، ولكن هناك ما استدعى ورود قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ (الحج: ١٥) في هذا السياق، وهذا ما بينه العلامة العمادي إذ يقول: "وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ تعليلٌ لما قبله وتقرير له بطريق التحقيق أي يفعلُ ألبتة كل ما يريده من الأفعال المتقنةِ اللائقةِ المبنيةِ على الحكمِ الرائقةِ التي من جملتها إثابةُ من آمن به وصدقَ رسوله صلى ا عليه وسلم وعقاب من أشرك به وكذب برسوله عليه السلام، ولما كان هذا من آثار نُصرته تعالى له عليه السلام عقب بقوله عز وعلا: ﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ تحقيقاً لها وتقريراً لثبوتها على أبلغ وجهٍ وآكدِه"[1]، الإمام العمادي لا يفوت فرصة إلا ويبين فيها علاقة الآيات وترابطها فيما بينها، فهو لا ينتقل من تفسير آية إلى أخرى إلا بعد أن يبسط الحديث عن مناسبتها لسياقها، وهنا يبين مناسبة الآية الثانية لسباقها إذ فيها حديث عن نصرة ا تعالى لرسوله صلى ا عليه وسلم في الدارين، إثر الحديث عن نصرته عليه السلام بإثابة من يؤمن به ويتبع ما جاء به؛ فإن مكافأة أنصاره عليه السلام هي بمثابة نصرته ρ.

ومن الأمثلة على هذا أيضاً ما جاء عند قول ا تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ (الروم: ٤٦-٤٨) قد يصعب على القارئ إدراك مناسبة الحديث عن إرسال الرسل وموقف كل من الكفار والمؤمنين منهم، ومن ثم المؤمنين بالنصر المؤزر على الكفار، قد تكون

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٤، صـ ٣٧٢-٣٧٣.

العلاقة غامضة بين هذه الآيات الثلاثة؛ ولكن الإمام بينها وكشف عن مناسبة الآية لسباقها ولحاقها؛ يقول: "وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ مزيد تشريفٍ وتكرمةٍ للمؤمنين حيثُ جعلوا مستحقين على الله تعالى أن ينصرهم، وإشعار بأن الانتقام من الكفرةِ لأجلهِ وقد يوقف على (حقا) على أنه متعلق بالانتقامِ، ولعل توسيط الآيةِ الكريمةِ بطريقِ الاعتراضِ بين ما سبقَ وما لحقَ من أحوال الرياحِ وأحكامِها لإنذارِ الكفَرةِ وتحذيرهم عن الإخلال بمواجبِ الشكرِ المطلوبِ بقولِه تعالى لعلكم تشكرون بمقابلةِ النعمِ المعدودةِ المنوطةِ بإرسالِها كيلا يحل بهم مثلُ ما حل بأولئك الأممِ من الانتقامِ"[1]، يلاحظ أن العمادي قد بين هنا مناسبتين؛ الأولى: مناسبة فاصلة الآية الكريمة لسياقها؛ وهي الفاصلة في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، والثانية: مناسبة الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: ٤٧) لسباقها ولحاقها؛ فسياق الآية فيه حديث عن فريقين من الناس أمام الرسالات الإلهية؛ فمنهم من كفر وظلم نفسه، ومنهم من آمن، وهذا السياق يستدعي ختم الآية الكريمة بتسجيل البشرى للرسل عليهم السلام ومن آمن معهم بالنصر على أعدائهم، وبهذا البيان الموجز وضح العلامة العمادي مناسبة الفاصلة الكريمة.

وأما عن المناسبة الثانية؛ فسباق هذه الآية يتحدث عن بعض ظواهر نعم الله تعالى على الإنسان، والتي تستدعي منه الانقياد لله وحده لا شريك له، يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الروم: ٤٦)؛ فذُكرت نعمة إرسال الرياح بشكل مجمل وجاء لحاق الآية بالتفصيل، وكشف الإمام عن مناسبة هذه الآية وانسجامها مع سباقها ولحاقها؛ فهي بمثابة تقريع للكفار وترهيب لهم، لينصاعوا إلى أوامر الله سبحانه ويطيعوا الرسل عليهم السلام.

يلاحظ مما سبق حرص الإمام على تتبع علاقات الترابط بين آيات القرآن الكريم، إذ لا ينتقل من تفسير آية لتفسير أخرى دون بيان علة ورودها في سياقها؛ فهو يتعامل مع الخطاب القرآني على أنه وحدة واحدة متماسك الأجزاء والأطراف، لا تشذ منه كلمة، ولا تخرج عن

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٥، صـ١٧٩-١٨٠.

نطاقه جملة؛ لذلك كان العلامة العمادي يعتمد كل الاعتماد على السياق القرآني في تبين المناسبات بين آيات الذكر الحكيم[١].

ثانياً: المناسبة بين الفاصلة القرآنية والسياق الذي وردت فيه

إن للفاصلة القرآنية ميزةً عظيمةً؛ إذ تكمن بين طياتها خلاصة الآية القرآنية؛ لذلك كان لا بد من وجود أثر للسياق القرآني في الفاصلة التي تُختم بها كل آية قرآنية؛ وهذا ما سعى العلامة العمادي إلى إبرازه؛ فمثلا عند قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (آل عمران: ١٢٩) هذه الآية جاءت في سياق الحديث عن بيان اختصاص ملكوتِ كل الكائناتِ بالله عز وجل إثر بيان اختصاص طرفٍ من ذلك به سبحانه تقريراً لما سبق وتكملةً لما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران: ١٢٦)؛ للقارئ المتدبر كلام الله عز وجل أن يتساءل ما السر في إيراد هذه الفاصلة دون غيرها؛ فما علاقة المغفرة والرحمة بسياق هذه الآيات؛ يكشف الإمام عن هذه المناسبة؛ قائلا: "﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ تذييلٌ مقرر لمضمون قوله تعالى: ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ (آل عمران:١٢٩) مع زيادة، وفي تخصيص التذييل به دون قرينةٍ من الاعتناء بشأن المغفرةِ والرحمةِ ما لا يخفى"[٢]؛ يلاحظ جلياً أن العمادي قد ربط الفاصلة بسياق الآية التي وردت فيها؛ فالمغفرة في الفاصلة وردت بقرينة تدل عليها وهي قوله عز وجل : ﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾، وزيد عليها ذكر الرحمة، وإن لم يرد قرينة للاعتناء بها؛ لبيان أن جانب الرحمة والمغفرة منه عز وجل غالب لا على سبيل الوجوب بل على سبيل الفضل والإحسان؛ فهو الغفور فيغفر، والرحيم إذا عذب، وهذا ما قصده العلامة العمادي، وطوى ذكره؛ لشدة وضوحه.

---

[1] ينظر لمزيد من الأمثلة: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ٣٣٤، (آل عمران: ٥)؛ وينظر: ج٣، صـ٥٥، (الأعراف:١٧٨)؛ وينظر: ج٣، صـ٤٧١، (إبراهيم: ٥)؛ وينظر: ج٤، صـ١٨٥، (الكهف:٢٧)؛ وينظر: ج٦، صـ٣٤١، (الإنسان:٧).

[2] العمادي، المصدر نفسه، ج٢، صـ٣١-٣٢.

ومن هذه النماذج ما أبرزه الإمام من مناسبة بين الفاصلة القرآنية وسياقها في قوله: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ (الرعد: ١٦)؛ إن هذه الآية الكريمة جاءت في سياق الرد على شبهات الكفار يقول الله عز وجل: ﴿ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴾ (الرعد: ١٣)، فجاءت إثر تبيين أنه سبحانه المدبر للسماوات والأرض القاهر لمن فيهن، المختص بربوبيتهما، ولقد ختمت بفاصلة كريمة من شأنها أن تقرر مضمون الآية التي جاءت فيها، وتأتي منسجمة مع سياقها لا تحيد عنه قِيد أنملة؛ وهذا بالضبط ما كشف عنه العمادي في قوله عند تفسيره لهذه الآية: "﴿ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ﴾ المتوحد بالألوهية المتفرد بالربوبية ﴿ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ لكل ما سواه فكيف يتوهم أن يكون له شريك؟"[1]؛ فكأنما هذه الفاصلة جاءت حاملة خلاصة سياقها وقضت على شبهات هؤلاء الكفار، وقطعت الطريق عليهم؛ نافية افتراءاتهم وأباطيلهم في حق المولى عز وجل .

وأبرز الإمام أيضاً مناسبة الفاصلة للسياق الذي وردت فيه في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج: ٣٨)؛ لقد جاءت هذه الآية الكريمة في سياق تثبيت قلوبِ المؤمنين ببيان أن الله تعالى ناصرهم على أعدائِهم بحيثُ لا يقدرون على صدهم عن الحج؛ ليتفرغُوا إلى أداءِ مناسكِه، ولكن هناك علاقة ترابط بين فاصلة هذه الآية وسياقها، كشف عنها العلامة العمادي؛ إذ يقول: "وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ تعليلٌ لما في ضمن الوعدِ الكريمِ من الوعيد للمشركين، وإيذان بأن دفعهم بطريق القهر والخِزي"[2]، إذن فقد ختمت هذه الآية الكريمة بتقرير بغض الله تعالى لمن تنكب درب الهداية وحاد عنه؛ وإنما ذلك استكمالا لما في مطلع الآية من وعد للمؤمنين بالمدافعة عنهم، وأنه تكفل برد كيد الكائدين والخائنين لأمانات الله ؛ وهي أوامره ونواهيه.

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٣، صـ٤٤٨.
[2] المصدر نفسه، ج٤، صـ٣٨٣.

ثالثاً: المناسبة بين المقاطع في السورة القرآنية

لم يغفل العلامة العمادي عن بيان المناسبات بين المقاطع في تفسيره سور القرآن الكريم؛ فقد كان يكشف للقارئ عن أسرار تجاور المقاطع، علاقتها مع بعضها في ظل سياق السورة الواحدة؛ على الرغم من تباين تلك المقاطع في المعاني والأغراض؛ وعلى هذا أمثلة تطبيقية كثيرة منها؛ عند قول ا تعالى: ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾(البقرة: ١٩-٢٠)؛ بداية يلاحظ أن سورة البقرة قد استهلت بذكر أصناف ثلاثة من البشر؛ المؤمنين والكافرين ومن ثم المنافقين؛ فذكرت أساليبهم في الكذب والمكر، ثم أتبعت ذلك العرض بضرب مثالين؛ لما في الأمثال من إيصال الهداية إلى أصحاب العقول الجامدة، يقول ا تعالى: ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٧-١٩) قد يجد القارئ صعوبة في تحديد العلاقة بين هذين المثالين؛ فالمثال الأول يمثل حال من جاهد في سبيل إنارة ما يحيط به من ظلمة؛ فإذا ما اشتعل حطبه ذهب نوره، بينما المثال الثاني يبرز حالَ من وجد نفسه في عين العاصفة عاجزا عن مقاومة الخوف الذي أحدق به، وللناظر نظرة عابرة ألا يدرك علاقة انسجام بين الصورتين؛ ولكن الإمام العمادي –رحمه ا تعالى- قد جلّى هذه العلاقة، بأسلوبه البليغ؛ إذ يقول: "﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ ﴾ تمثيلٌ لحالهم إثر تمثيل؛ ليعم البيان منها كل دقيق وجليل، ويوفي حقها من التفظيع والتهويل، فإن تفننهم في فنون الكفر والضلال وتنقّلهم فيها من حال إلى حال حقيقٌ بأن يضرب في شأنه الأمثال، ويرخى في حلبته أعِنّةُ المقال، ويمد لشرحه أطناب الإطناب، ويعقَد لأجله فصولٌ وأبواب، لما أن كل كلام له حظ من البلاغة، وقسط من الجزالة والبراعة، لا بد أن يوفى فيه حق كل من مقامي الإطناب والإيجاز، فما ظنك بما في ذُروة الإعجاز من التنزيل الجليل، ولقد نُعي عليهم في هذا التمثيل تفاصيلُ جناياتهم، وهو عطف على الأول على حذف المضاف لما

سيأتي من الضمائر المستدعية لذلك، أي كمثل ذوي صيب، وكلمة (أو) للإيذان بتساوي القصتين في الاستقلال بوجه الشبه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معاً"[1]، لقد بين الإمام أن هذا السياق- وهو ذم للمنافقين وتنفير عن أعمالهم القبيحة- يستدعي ضرب المثل تلو المثل؛ ليستوفي هؤلاء حقوقهم من التفظيع والتهويل، يلاحظ هنا براعة الإمام العمادي في كشف الرابط بين هذه الآيات وتجليته للقارئ؛ بعبارة موجزة تنم عن فهم دقيق لخطاب ا تبارك وتعالى، ونظرة ثاقبة تنظر للآيات القرآنية على أنها وحدة واحدة متماسكة، لا يشذ عن سياقها العام أي جزء منها.

ومن الأمثلة الأخرى التي تبين عناية العلامة العمادي ببيان أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة بين المقاطع في السورة الواحدة؛ بيانه للعلاقة بين المقاطع التالية من سورة هود؛

المقطع الأول قول ا تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ... وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (هود: ١٥ – ١٧) والمقطع الثاني قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ ... لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ (هود: ١٨ – ٢٢) والمقطع الثالث قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ (هود: ٢٣) إن سورة هود من السور المكية، وهي تُعنى بأصول العقيدة الإسلامية؛ التوحيد، الرسالة، البعث والجزاء، ولقد عرضت قصصا لبعض الأنبياء عليهم السلام في ثناياها، وهنا بين العمادي المناسبة بين هذه المقاطع الثلاثة من السورة، ولم تقف الباحثة على بيان بديع للعلاقة بين هذه المقاطع الكريمة، مثل بيانه -رحمه ا تعالى-إذ يقول: "وهذه الآياتُ الكريمة كما ترى مقررةٌ لما سبق من إنكار المماثلةِ بين من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد الحياةَ الدنيا أبلغَ تقريرٍ، فإنهم حيث كانوا أظلم من كل ظالمٍ وأخسر من كل خاسرٍ لم يتصور مماثلةٌ بينهم وبين أحدٍ من الظلَمةِ الأخسرين، فما ظنك بالمماثلة بينهم وبين من هو في أعلى مدارجِ الكمال! ولما ذُكر فريقُ الكفار وأعمالُهم وبين مصيرهم ومآلُهم شُرِع في بيان حال أضدادِهم أعني فريقَ المؤمنين وما يؤول إليه أمرهم من العواقب الحميدةِ؛ تكملةً لما سلف من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (هود: ١٧) الآية، ليتبين ما بينهما من التباين البين حالاً ومآلاً فقيل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي بكل ما يجب أن يؤمن به فيندرج

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ ٧٢.

تحتَه ما نحن بصدده من الإيمان بالقرآن الذي عبر عنه بالكون على بينة من ا "[1]، بين الإمام أن المقطع الثاني كان تقريرا لسباقه، فالسباق يتحدث عن نفي المماثلة بين من يؤمن بالرسالات المنزلة وبين من يكذب بها، وجاء المقطع الثاني بمعناه ليقرر ذلك؛ فالآيات تحدثت عن قبائح الكافرين، وبينت أنها أعظم من كل ظلم وأصحابها يغرقون بالخسران، بما لا يدع مجالا لمماثلتهم بالمؤمنين، فالمقطع جاء في الموضع المناسب لسباقه وكذا المنسجم مع لحاقه؛ إذ إن الحديثَ عن فظائع الكفار يستلزم الحديثَ عن أعمال المؤمنين الطيبة، فجاء المقطع الثالث في موضعه الأليق به والمناسب لسباقه، هذا البيان الموجز الذي قدمه مفتي الديار الرومية يعكس مدى براعته في إدراك الروابط الدقيقة بين الآيات، ونظرته الثاقبة للخطاب القرآني على أنه وحدة واحدة، وبناء محكم متماسك.

ومنه عند قول ا تعالى: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴾ (القمر: ٩)

لقد وردت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن الكفار المكذبين للنبي صلى ا عليه وسلم وما جاء به من معجزات، وزجرهم وتقريعهم، فجاءت هذه الآية التي قد يتساءل القارئ عن مناسبة ورودها في هذا السياق؛ فيجيب العلامة قائلاً: "شروع في تعدادِ بعضِ ما ذُكِر من الأنباءِ الموجبةِ للازدجار، ونوع تفصيلٍ لها وبيان لعدمِ تأثرهم بها تقريراً لفحوى قوله تعالى: ﴿ فَمَا تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ (القمر:٥) أي فعلَ التكذيب قبلَ تكذيبِ قومِك قوم نوحٍ وقولُه تعالى: ﴿ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا ﴾ تفسير لذلك التكذيبِ المبهمِ كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ ﴾ (هود: ٤٥) الخ، وفيه مزيد تقريرٍ وتحقيقٍ للتكذيبِ"[2]؛ إذن فالسياق ذكر قصة سيدنا نوح عليه السلام مع قومه الذين كذبوه؛ توبيخا للكفار، وتسلية لقلب النبي ρ، فهذه الآية جاءت تقرر ما في سباقها.

وعليه في هذا أمثلة كثيرة[3] ليس هذا مقام بسطها، يلاحظ منها عناية أبي السعود ببيان أثر السياق القرآني في إبراز المناسبة بين المقاطع في السور القرآنية؛ إذ يلاحظ عدم انتقاله من تفسير مقطع يدور معناه حول معنى معين إلى مقطع يليه؛ إلا ويبين علاقتهما ببعضهما في ظل سياق الآيات العامة.

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٣، صـ٢٩٩-٣٠٠.
[2] العمادي، المصدر نفسه، ج٦، صـ١٦٦-١٦٧.
[3] ولمزيد من الأمثلة ينظر: المصدر نفسه، ج١، صـ ١٩١، (البقرة:١٢٤)؛ ج٢، صـ١٠٣، (النساء:١١)؛ ج٤، صـ٣٨٥، (الحج:٤٢)؛ ج٥، صـ٢٤، (الفرقان:٦٣).

رابعاً: مناسبة خاتمة السورة لسياقها العام

تكون المناسبة في بعض السور بين خاتمة السورة لسياقها العام واضحة جلية، سهلة الإدراك، ولكن في سور أخرى يتطلب إدرك هذه المناسبة دقة في فهم الخطاب القرآني، وطول باع في الوصول إلى العلاقات التي تنشأ بين المعاني في السورة الواحدة؛ وهذا ما تصدى له العلامة العمادي؛ إذ كان يكشف عن تلك العلاقة كلما استدعت الحاجة ذلك؛ فعند قول ا تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)؛ ختمت هذه الآية الكريمة سورة آل عمران إثر الحديث عن أهل الكتاب، وبيان أن ليس كلهم كمن حكِيت هِناتُهم من نبذ الميثاقِ وتحريفِ الكتابِ وغير ذلك، بل منهم من له مناقب جليلةٌ[1]، فبين العلامة هنا المناسبة بين هذه الخاتمة الكريمة والسياق العام للسورة؛ يقول: "﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ إثر ما بين في تضاعيف السورةِ الكريمةِ فنون الحكم والأحكامِ خُتمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل:﴿ ٱصۡبِرُواْ ﴾ أي على مشاق الطاعاتِ وغير ذلك من المكاره والشدائدِ﴿ وَصَابِرُواْ ﴾ أي غالبوا أعداء اللهِ تعالى بالصبر في مواطن الحروبِ، وأعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى"[2]؛ تظهر جلياً براعة العلامة في سبر أغوار الذكر الحكيم، وإدراك العلاقات اللطيفة بين معانيه؛ فقد نظر لهذه السورة على أنها وحدة واحدة متماسكة؛ فبين باعتماده السياق علة ختم السورة الكريمة بأمر الصبر؛ وذلك تناسبا مع ما بثّ في ثناياها من أحكام اقتضت المحافظة عليها، والصبر على تحمل مشاقها؛ وبهذا تظهر العلاقةَ بين خاتمة هذه السورة وسياقها العام.

وعند قول ا تبارك وتعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِى ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ (الرحمن: ٧٨) يبين العلامة العمادي المناسبة بين خاتمة سورة الرحمن وبين سياق السورة العام؛ فيقول: "وقولُه تعالى: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ﴾ تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذُكِر في السورةِ الكريمةِ من آلائِه الفائضةِ على الأنامِ، أي تعالى اسمه الجليلُ الذي من جملتِه ما صدرتْ به السورةُ من اسم الرحمن المنبىءِ عن إفاضتِه الآلاء المفصلةَ وارتفع عما لا يليقُ بشأنِه من الأمور التي من جملتها جحود نعمائِه

---

[1] ينظر: **إرشاد العقل السليم**، ج٢، صـ٨٩.
[2] المصدر نفسه، ج٢، صـ٩٠.

وتكذيبها، وإذا كان حالُ اسمِه بملابسةِ دلالتِه عليهِ فما ظنك بذاتِه الأقدسِ الأعلى،...﴿ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ وصفَ به الرب تكميلاً لما ذُكِر من التنزيهِ والتقرير"[1]، يفهم من قول العلامة العمادي أن سورة الرحمن سياقها متحدث عن ما أفاضه ا سبحانه من نعم شتى على الأنام، مع إنكار وتقصير المتَفضل عليهم بالوفاء بشكر هذه النعم وحمد منعمها؛ فهذا السياق لا يناسبه إلا أن يختم بتنزيه يليق بكمال ا تعالى، يلاحظ أن الإمام قد بين انسجام هذه الآية مع سياق السورة العام، وقد عقب الإمام الرازي على هذه المناسبة بقوله: "إنه تعالى لما ختم نعم الدنيا بقوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٧) ختم نعم الآخرة بقوله: ﴿ تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ إشارة إلى أن الباقي والدائم لذاته هو ا تعالى لا غير والدنيا فانية، والآخرة وإن كانت باقية لكن بقاؤها بإبقاء ا تعالى"[2]، وما قاله العلامة العمادي أبلغ لما فيه من مناسبة بين خاتمة السورة وسياقها، وهو أفضل من أن تُقتصر المناسبة على خاتمة السورة والمقطع الأخير منها؛ المتحدث عن نعم الآخر. وا أعلم وأحكم.

يلاحظ من هذه الأمثلة وغيرها[3] عناية العلامة العمادي بإبراز وحدة الخطاب القرآني، والعلاقة الوثيقة بين آيات السورة الواحدة، وحرصه على كشف المناسبة في بعض سور القرآن الكريم بين خاتمتها وسياقها العام؛ معتمدا كل الاعتماد على السياق القرآني.

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٦، صـ١٨٣.

[2] الرازي، محمد فخر الدين (ت ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب**، ط١، ٣٢م، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م، ج٢٩، صـ١٣٨؛ وينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٨، صـ١٩٨-١٩٩؛ وينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١٩، صـ١٩٣.

[3] ينظر: العمادي، المصدر نفسه، ج١، صـ٣٢٤، (البقرة: ٢٨٥)؛ ج٣، صـ٦٤، (الأعراف:١٨٩).

المطلب الثاني: أثر السياق في إيثار مفردة أو صيغة على أخرى

إن القرآن الكريم ذروةُ الفصاحة والبلاغة، فمن دلائل إعجازه الحكمة في تخير الألفاظ ووضعها في محلها، ولا تبديل للفظ بلفظ وإلا اختل المعنى، وما كان هذا ولا يكون لكلام غيره؛ فكل كلام لبشر قد يستبدل فيه لفظ بلفظ، أما شأن كلام ا فشأن آخر؛ إذ لا يمكن أن يستبدل لفظ بآخر؛ ولو حصل هذا لجاء منه "إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة"[1]، يقول الإمام الرازي: "كل كلمة وردت في القرآن فهي لمعنى وكل ترتيب وجد لحكمة، وما ذكر على خلافه لا يكون في درجة ما ورد به القرآن"[2].

وللباحث في تفسير أبي السعود أن يدرك مدى عنايته بإبراز العلاقة الوثيقة بين المفردات والصيغ والتعابير القرآنية وبين سياق الآيات الواردة فيها؛ إذ لا تكاد صفحة من صفحات تفسيره تخلو من بيان مدى انسجام وتلاؤم كل مفردة أو صيغة أو تعبير مع سياقه الذي جاء فيه.

وعلى هذا نماذج كثيرة:

أولا: أثر السياق في إيثار مفردة على أخرى

فعند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦)، جاءت هذه الآية الكريمة في سياق "تنزيه ساحةِ التنزيل عن تعلق ريبٍ خاص اعترى –الكفار- من جهة ما وقع فيه من ضرب الأمثال وبيان لحكمته، وتحقيقٌ للحق إثر تنزيهه عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي، وإلقامِ الحجر، وإفحامِ كافة البلغاء من أهل المدر والوبر[3]"[4]؛ إذ يقول تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٤ ﴾ (البقرة: ٢٣-٢٤) وهنا يبرز العمادي أثر

---

[1] الخطابي، حمد بن محمد (ت ٣٨٨هـ)، **بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن،** ط بلا، ١م، (تحقيق: محمد خلف ا ومحمد سلام)، دار المعارف، مصر، صـ٢٦؛ وينظر: العبيدي، **دلالة السياق في القصص القرآني،** صـ٣٧.

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب،** ج٢٥، صـ١٣١.

[3] أهل المدر والوبر: هم أهل البدو والقرى؛ ينظر: الزمخشري، **أساس البلاغة،** صـ٥٨٦.

[4] العمادي، **إرشاد العقل السليم،** ج١، صـ٩٦.

السياق الذي حف الآية الكريمة على إيثار لفظ (يقولون) دون غيره؛ يقول رحمه ا تعالى: "أوثر (يقولون) على (لا يعلمون) حسبما يقتضيه ظاهر قرينه؛ دلالةً على كمال غلوهم في الكفر، وترامي أمرهم في العتو؛ فإن مجرد عدمِ العلم بحقيته ليس بمثابة إنكارها، والاستهزاء به صريحاً وتمهيداً لتعداد ما نُعي عليهم في تضاعيف الجواب من الضلال والفِسق ونقض العهد وغير ذلك من شنائعهم المترتبةِ على قولهم المذكور، على أن عدم العلم بحقيته لا يعم جميعهم، فإن منهم من يعلم بها، وإنما يقول ما يقول مكابرةً وعناداً"[1]، هنا أبرز الإمام العلاقة الوثيقة بين إيثار قوله (يقولون) في حق الكفار على (لا يعلمون)؛ أسوة بما ذكر في سياق الآية في حق المؤمنين ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ ؛ إذ إن سياق هذه الآية يتحدث عن صنف المؤمنين الذين يعترفون بحقية ما يضربه ا تعالى من أمثال، وبصنف الكفار الذين أعماهم الضلال عن رؤية الحق والاعتراف به، فإيراد (يقولون) فيه مزيد من التقريع والذم لهؤلاء الكفار؛ فمجرد عدم علمهم بحقية ذلك، لا يلزم منه إنكارهم، لذلك استدعى سياق توبيخهم إيثار(يقولون) على (لا يعلمون)، هذا وإن في إيثار هذه الكلمة تمهيدا لما في لحاق الآية من تسجيل عليهم بالضلال والفسق ونقض للعهد؛ قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ (البقرة: ٢٦-٢٧)، بهذا يظهر جليا حنكة الإمام العمادي في بيان علاقة الانسجام بين الألفاظ القرآنية وسياقها؛ معتمدا في ذلك على لحاق الآية وسياقها.

ومنه عند قول ا تعالى: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورى: ١٣)؛ وردت هذه الآية في سياق تقرير أن الدين واحد، أرسل ا تعالى به الرسل عليهم السلام، وإيذان بأن ما شرع للخلق صادر عن كمال العلمِ والحكمةِ، وفي هذه الآية يبرز الإمام علة إيثار (الإيحاء) على (التوصية)؛ فيقول: "والمراد بإيحائِه إليهِ عليهِ الصلاةُ والسلام إما ما ذُكِر في صدرِ السورةِ الكريمةِ وفي قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ ﴾ (الشورى: ٧)الآيةَ، أو ما يعمهما وغيرهما مما وقع في سائر المواقع التي من جملتِها قولُه

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، ص ١٠٠.

تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ ﴾ (النحل: ١٢٣)، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ ﴾ (الكهف: ١١٠) وغير ذلك... وإيثار الإيحاءِ على ما قبله وما بعده من التوصيةِ؛ لمراعاة ما وقع في الآيات المذكورةِ، ولما في الإيحاءِ من التصريح برسالتهِ عليه الصلاةُ والسلام القامعِ لإنكار الكفرةِ"[1]؛ يلاحظ من هذا المثال أن الإمام قد علل إيثار ورود لفظ الإيحاء في سلك ذكر التوصية؛ اعتمادا على سياق المقطع، وسياق السورة وسياق القرآن الكريم؛ فهو كعادته يبين معنى اللفظ القرآني؛ وهو هنا (الإيحاء)، فبينه اعتمادا على سباق الآية؛ وهو الذي أشار إليه بقوله: "صدر السورة"، وبينه أيضا بالاعتماد على السياق القرآني؛ مستشهدا بذكر الإيحاء في سورتي النحل والكهف، وبعد أن بين معنى اللفظ، كشف عن سر إيثاره على غيره من الألفاظ في سلك التوصية؛ مبينا العلاقة بين اللفظ والمعنى السياقي؛ وهو قمع الكفرة وتبكيتهم.

وعند قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (الأنعام: ٣٥)، جاءت هذه الآية الكريمة في سياق تأكيد إيجاب الصبر المستفاد من تسلية رسول ا صلى ا عليه وسلم عن الحزن الذي يعتريه؛ مما حكي عن الكفرة من الإصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان أنه عليه الصلاة والسلام بمكانةٍ من ا عز وجل، وأن ما يفعلون في حقه راجع إليه تعالى في الحقيقة وأنه ينتقم منهم لا محالة أشد انتقام[2]، وهنا بين العلامة العمادي العلة في إيثار لفظ (الابتغاء) على (الاتخاذ)؛ يقول: "وإيثار الابتغاءِ على الاتخاذ ونحوه للإيذان بأن ما ذكر من النفق والسلّم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه"[3]؛ يلاحظ أنه استعان بالسباق في تعليل إيثار هذه اللفظة على ما سواها؛ فالابتغاء في أصل اللغة طلب الشيء، بينما الاتخاذ من الأخذ وهو حوز الشيء وجبيه وجمعه[4]، فإن صعب الأول؛ فالثاني أصعب من باب أولى.

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٦، صـ١١.
[2] ينظر: المصدر نفسه، ج٢، صـ٣٧٤.
[3] المصدر نفسه، ج٢، صـ٣٧٨.
[4] ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، صـ٤٧، صـ١٢٦.

ثانيا: أثر السياق في إيثار صيغة على أخرى

إن من الأمثلة على إبراز الإمام للعلاقة الوثيقة بين صيغ القرآن الكريم وسياقها الواردة فيه؛ عند قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (آل عمران: ١٨٢) جاءت هذه الآية في سياق تعداد مقالات الكفرة من المشركين واليهود والرد عليها؛ يقول تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (آل عمران: ١٨١) وقال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (آل عمران: ١٨٣)؛ هؤلاء الكفرة قد تمادوا في ظلم أنفسهم؛ بكفرهم وتكذيبهم وافترائهم على ا ؛ فجاءت هذه الآية بإيثار صيغة المبالغة على غيرها من الصيغ في كلمة ﴿ بِظَلَّامٍ ﴾؛ لتتناسب مع هذا السياق؛ يقول الإمام أبو السعود: "الجملةُ اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبلها، أي والأمر أنه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنبٍ من قِبلهم، والتعبير عن ذلك بنفي الظلمِ...؛ لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورةٍ ما يستحيلُ صدوره عنه سبحانه من الظلم، كما يعبر عن ترك الإثابةِ على الأعمال بإضاعتها مع أن الأعمالَ غير موجبةٍ للثواب حتى يلزم مِن تخلفِه –الثواب- عنها ضياعها، وصيغةُ المبالغةِ لتأكيد هذا المعنى بإبراز ما ذُكر من التعذيب بغير ذنبٍ في صورة المبالغةِ في الظلم"[1]؛ فسياق الحديث عن ظلم الكافرين أنفسهم استدعى إيثار نفي الظلم عن ا تبارك وتعالى بصيغة المبالغة؛ فا عز وجل لن يعذبهم إلا بما اقترفت أيديهم.

ومن هذه الأمثلة عند قول ا سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (يونس: ٤٤) جاءت هذه الآية الكريمة في سياق التوبيخ والرد على الكفار والمعاندين الذين افتروا على ا كذبا، وكذبوا بالنبي صلى ا عليه وسلم وما أنزل عليه، يقول ا تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٢، صـ٧٤.

يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (يونس: ٣٨-٣٩)، فهؤلاء لا يهتدوا إلى طريق الحق؛ لتعطل مشاعرهم وقصور إدراكهم من عند أنفسهم[١]، وهنا يعلل الإمام العمادي ورود ﴿ يَظْلِمُونَ ﴾ بصيغة الفعل المضارع فيقول: "وصيغةُ المضارع للاستمرار نفياً وإثباتاً، فإن حرفَ النفي إذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقامِ استمرار النفي لا نفي الاستمرار، ألا ترى أن قولك: (ما زيدا ضربتُ) يدل على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص، ومساقُ الآيةِ الكريمةِ لإلزام الحجةِ ويجوز أن يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبتُ للاستمرار، والمعنى أن ا لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيامة شيئاً من الظلم ولكنهم أنفسهم يظلمون ظلماً مستمراً، فإن مباشرتَهم المستمرةَ للسيئات الموجبةِ للتعذيب عين ظلمِهم لأنفسهم"[٢]؛ يلاحظ هنا أن الإمام أشار إلى قاعدة سياقية هامة فحواها أن الفعل المضارع إما أن يفيد الاستقبال؛ إذا ورد في سياق الكلام منفيا، وإما أن يفيد الاستمرار إذا ورد في السياق مثبتا، ومثل على ذلك بقوله: (ما زيدا ضربتُ) فمعناها أن فعل الضرب قد وقع ولكنه لم ينحصر بزيد؛ أي إنه وقع على زيد وغيره، وبهذا وضح الإمام لزوم ورود الفعل المضارع في سياق إلزام الحجة؛ فهم لا يفترون عن إلقاء الشبهات، واختلاق الأكاذيب، واستمرارهم في ظلمهم لأنفسهم يستدعي إيثار الفعل بصيغة المضارع؛ لإفادة الاستمرار وعدم الفتور.

وعلى هذا أمثلة عديدة في هذا التفسير الجليل؛ وليس هذا مقام بسطها، ولقد يبين من خلالها العلامة علاقة الألفاظ والصيغ بالسياق القرآني، وهي تعكس بمجموعها ما تميز به الإمام العمادي من دقة فهم للقرآن الكريم، وحس مرهف في تذوق جماله[٣].

---

[1] ينظر: العمادي، المصدر نفسه، ج٣، صـ٢٤٤.

[2] **إرشاد العقل السليم**، ج٣، صـ٢٤٤-٢٤٥.

[3] لمزيد أمثلة؛ ينظر: المصدر نفسه، ج٢، صـ٢٣٦، (المائدة: ٢)؛ وينظر: ج٣، صـ٢٨٨، (هود: ٧)؛ وينظر: ج٤، صـ٢٨، (الحجر:٦٥)؛ وينظر: ج٥، صـ٣٨٣-٣٨٤، (الزمر: ١٠).

المبحث الثاني: أثر السياق القرآني عند أبي السعود في تحديد مرجع الضمير وتقدير المحذوف:

المطلب الأول: تحديد مرجع الضمير

السياق القرآني من أهم قرائن تحديد المفَسر[١] في القرآن التي اعتمدها العلماء، إذ تتظافر أطراف السياق –السباق واللحاق- لبيان حركة الضمائر ومرجعيتها، وأثرها في تماسك النظم القرآني، ويعزو بعض الباحثين أسباب الاختلاف في عود الضمائر في بعض الآيات القرآنية إلى عدم الالتفات إلى السياق[٢]؛ بحيث يتم تحديد المفَسر دون تفسير الآية في ظل سياقها الذي وجدت فيه؛ فيقع الخطأ والزلل، لذلك فالسياق القرآني هو الذي يجلّي عود الضمائر، ولا يجوز للمفسر أن يغفل عنه في أي حال كان؛ خصوصا في تحديد مرجع الضمير في القرآن الكريم.

ولقد أظهر الإمام العمادي تطبيقا عمليا لهذه القاعدة في تفسيره؛ إذ كان يحدد مرجع الضمير بالاعتماد على سياق الآيات؛ ففي قول ا تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (البقرة: ٨٤) لقد جاءت هذه الآية الكريمة في سياق نهي بني إسرائيل عن التعرض لبعضهم بالقتل والإجلاء، وحملهم على مراعاة حقوق الميثاق المأخوذ منهم في حقوق ا تعالى وحقوق عباده[٣]، وفي هذه الآية الكريمة يكشف الإمام العمادي عن مرجع الضمير في ﴿أَنفُسَكُم﴾ يقول: "فضمير ﴿أَنفُسَكُم﴾ للمخاطبين حتماً إذ به يتحقق تنزيلُ المخْرجين منزلتَهم كما أن ضمير﴿دِيَـٰرِكُمْ﴾ للمخرجين قطعاً، إذ المحذور إنما هو إخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطَبين من حيث إنهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سيأتي من قوله تعالى: ﴿مِّن دِيَـٰرِهِمْ﴾ (البقرة: ٨٥) وإنما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلةَ ديار المخاطَبين بناء على تنزيل أنفسِهم منزلتَهم لتأكيد المبالغةِ وتشديدِ التشنيع"[٤]؛ يلاحظ هنا اعتماد العلامة على اللحاق في تحديد مرجع الضمير في الآية؛ فاللحاق يتحدث عن الفظائع التي ارتكبها بنو إسرائيل في حق

---

[1] المفَسر هو الاسم الذي يعود عليه الضمير؛ ينظر: السامرائي، فاضل صالح، **معاني النحو**، ط٣، ٤م، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٨م، ج٣، صـ٥٩.

[2] ينظر: العبيدي، **دلالة السياق في القصص القرآني**، صـ ٢٢١؛ وينظر: المثنى عبد الفتاح، **نظرية السياق القرآني**، صـ٣٢٣.

[3] ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ١٥٨.

[4] المصدر نفسه، ج١، صـ١٥٨.

إخوانهم في الدين من إجلاء و طرد وقتل؛ ويلاحظ أنه استعمل عبارة (قطعاً) وهي تدل على تثبته، وأن ليس هناك مفَسر يمكن أن يرجع إليه الضمير سوى ما يدل عليه اللحاق.

ومن هذه الأمثلة ما جاء عند قول ا تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأنعام: ٨٤) لقد جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ودعوته لقومه، ولقد اختلف العلماء في مرجع الضمير في كلمة (ذريته) أتعود على سيدنا نوح عليه السلام ، أم على سيدنا إبراهيم عليه السلام ؛ ولكن الإمام العمادي قد حدد المفَسر واستدل على قوله بسياق الآيات؛ فقال: "﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ ﴾ الضمير لإبراهيم، لأن مساق النظم الكريم لبيان شؤونه العظيمة من إيتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الأولاد الأنبياء وإبقاء هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة، كل ذلك لإلزام من ينتمي إلى ملته عليه السلام من المشركين واليهود"[1]، إذن فالهاء في (ذريته) تعود على سيدنا إبراهيم عليه السلام ؛ بدلالة السياق الكريم، والذي عبر عنه الإمام بقوله: "مساق النظم الكريم"؛ تجوزا، فحدد المفسر وهو سيدنا إبراهيم عليه السلام ؛ بالنظر إلى سياق الآية؛ فالسياق حديث عن سيدنا إبراهيم ورفعة شأنه والمعجزات التي خصه ا تعالى بها إلى يوم الدين، وهذا السياق يستلزم رجوع الضمير عليه عليه السلام .

ومنه عند قول ا تعالى: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الشعراء:(٦٧-٦٨)؛ هذه الآيات جاءت إثر قصة سيدنا موسى عليه السلام مع قومه، التي ساقها ا تعالى تسلية وإيناساً للنبي صلى ا عليه وسلم عما قاله قومه في شأن القرآن الكريم؛ يقول ا عز وجل : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ (الشعراء: ٥-٦)؛ وهنا يحدد الإمام مرجع الضمير في ﴿ أَكْثَرُهُم ﴾ ؛ معتمدا على سياق السورة في ذلك؛ هذا نص حديثه يقول: "وأما ما قيل مِن أن ضمير أكثرهم لأهل عصر فرعون من القبطِ وغيرهم...؛ فبمعزل من التحقيق كيف لا ومساقُ كل قصةٍ من القصص الواردةِ في السورة الكريمة سوى قصةِ إبراهيم عليه السلام إنما هو لبيان حال طائفة معينةٍ قد عتَوا عن أمر ربهم وعصوا رسلَه عليهم الصلاةُ والسلام، كما يفصح عنه تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بأيديهم من الآياتِ العظامِ ما يوجب عليهم الإيمان ويزجرهم عن الكفر والعصيان،

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٢، ص ـ ٤١٠.

وأصروا على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة الدنيويةِ، وقطع دابرهم بالكُلية فكيف يمكن أن يخبر عنهم بعدم إيمان أكثرهم لاسيما بعد الإخبار بإهلاكهم وعد المؤمنين من جملتهم أولاً وإخراجهم منها آخِراً مع عدم مشاركتِهم لهم في شيءٍ مما حكي عنهم من الجنايات أصلاً مما يوجب تنزيه التنزيل عن أمثالِه فتدبر"[1]؛ لقد اعتمد العلامة هنا على سياق السورة في إثبات أن مرجع الضمير يعود على قوم النبي محمد ρ؛ لأن سوق قصص الأنبياء مع أقوامهم جاء تسلية للنبي ρ، عندما كذبه قومه، وأعرضوا عنه، كذلك وليس من المنطقي أن ينفى إيمان أكثر قوم موسى عليه السلام ، خاصة وأن سباق هذه الآية يتحدث عن هلاكهم، وبهذا يظهر جليا أثر السياق القرآني في تحديد مرجع الضمير عند أبي السعود العمادي، علماً بأن هذا الرأي الذي رده قد تبناه الزمخشري؛ حيث يقول: "وما تنبه عليها أكثرهم، ولا آمن بالله. وبنو إسرائيل: الذين كانوا أصحاب موسى المخصوصين بالإنجاء قد سألوه بقرة يعبدونها، واتخذوا العجل، وطلبوا رؤية الله جهرة"[2]؛ وإلى هذا ذهب البيضاوي أيضا؛ يقول: "وما تنبه عليها أكثرهم إذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي في مصر من القبط، وبنو إسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا: ﴿لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡـرَةً ﴾ (البقرة: 55) "[3]؛ إذن فكلاهما يرى بأن الضمير في ﴿أَكۡثَرُهُم ﴾ يعود على أهل عصر فرعون من القبطِ وغيرهم.

ويظهر مما سبق طول باع الإمام العمادي في تحديد المفسر تحديدا دقيقاً، بالاعتماد على سياق الآيات، وكذلك علو كعبه وبراعته في اعتماد السياق ميزاناً توزن به الأقوال الأخرى؛ فما ينسجم مع المعنى السياقي يقبل، وما سواه يرد.

وللناظر في تفسيره (إرشاد العقل السليم) أن يدرك أنه لم يعتن كثيرا ببسط خلافات العلماء حول مرجع الضمائر في القرآن الكريم، فمثلا في قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (الحج: ٤) هذه الآية من الآيات التي دار حولها خلاف بين العلماء في بيان مرجع الضمير في قوله تعالى: (كتب عليه) أيعود للشيطان أم لغيره؛ وهنا تجد الإمام العمادي مكتفيا ببيان الراجح في عود الضمير دون أن يبسط الخلاف بين العلماء، ودون أن يعرض للآراء التي لا تنسجم مع السياق الكريم؛ ولعل ذلك مراعاة للاختصار، يقول: "وقوله

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٥، صـ ٤٤.
[2] الزمخشري، **الكشاف**، ج٣، صـ ٣٢٢.
[3] البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج٤، صـ ١٤٠.

تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ أي على الشيطان صفة أخرى له وقوله تعالى: ﴿أَنَّهُۥ﴾ فاعلُ كتب والضمير للشأن أي رقم به لظهور ذلك من حاله أن الشأن ﴿مَن تَوَلَّاهُ﴾ أي اتخذه وليا وتبعه... وقيلَ وقيلَ مما لا يخلُو عن التمحل والتأويل"[١].

يتبين من هذه الأمثلة وغيرها[٢] أن الإمام قد حرص على بيان مرجع الضمائر في القرآن الكريم، وبيان أثرها على تماسك البناء القرآني؛ معتمدا في ذلك على سياق الآيات، غير ملتفت إلى بسط خلافات العلماء حول مرجع الضمائر؛ مكتفيا بذكر الراجح والموافق للمعنى السياقي؛ روما للاختصار الذي انتهجه في أغلب المواضع في تفسيره الجليل.

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٤، صـ٣٦٦.

[2] لمزيد من الأمثلة؛ ينظر: العمادي، المصدر نفسه، ج٤، صـ٤٨٥، (النور: ٦١)؛ وينظر: ج٦، صـ٢٤٩، (الجمعة:١١)؛ وينظر: ج٦، صـ٣٧٨، (عبس: ١١-١٢).

المطلب الثاني: تقدير المحذوف

لقد حظي باب الحذف باهتمام العلماء قديما وحديثا؛ فقد كان الإمامان الرماني[١] والخطابي[٢] من أوائل العلماء الذين قرروا بأن الحذف أبلغ من الذكر في الغالب؛ لأن الذكر يقتصر على الوجه المذكور وحسب، أما الحذف فتذهب فيه النفس كل مذهب[٣]، ومن العلماء الذين اعتنوا بالكشف عن بلاغة الحذف في القرآن الكريم- شيخ البلاغة (عبد القاهر الجرجاني)[٤]، إذ افتتح الحديث عنه بمقدمة جزلة؛ يقول فيها: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمتَ عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطقَ ما تكون إذا لم تنطِق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبِن"[5]؛ لذلك يلاحظ في كثير من الجمل العربية محاذيف واجبة الحذف أو جائزته، وتلك المحاذيف تفهم بالفطنة أو بالضمائر التي يوجد في الملفوظ من الكلام ما يدل عليها، أو مما يسهل إدراكه ولو لم يوجد في الكلام لفظ خاص يدل عليه، ولكن لا بد من وجود داع بلاغي يستلزم حذف المحذوف من الكلام؛ مثل الرغبة في الايجاز أو الاختصار، ولا يسوغ الحذف إلا بتوفر شروط من أهمها أن يكون في المذكور من الكلام دلالة على المحذوف، إما من لفظه أو من سياقه، إذن فالسياق هو الذي يقتضي الحذف ويدل عليه[٦].

من أجل ذلك كان الإمام العمادي كثير اللجوء للسياق القرآني لتحديد المحذوفات في تفسيره، ولتقدير المحذوف تقديرا ينسجم مع المعنى السياقي، ومن الأمثلة على ذلك:

---

[1] الرماني هو أبو الحسن علي بن عيسى، باحث معتزلي مفسر، من كبار النحاة. له مصنفات عديدة منها: الأكوان، المعلوم والمجهول، النكت في إعجاز القرآن. توفي سنة: (٣٨٦هـ)(ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٦، صـ٥٣٣؛ وينظر: الزركلي، **الأعلام**، ج٤، صـ٣١٧).

[2] الخطابي هو حمد بن محمد البستي، فقيه محدث، له تصانيف عديدة منها: معالم السنن، إصلاح غلط المحدثين... توفي سنة: ٣٨٨هـ(ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٧، صـ ٢٣-٢٨).

[3] ينظر: الرماني، علي بن الحسن، (ت ٣٨٦هـ)، **النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، ط بلا، ١م، (تحقيق: محمد خلف ا ومحمد سلام)، دار المعارف، مصر، صـ٩٧؛ وينظر: الخطابي، **بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، صـ٤٧.

[4] عبد القاهر الجرجاني هو أبو بكر بن عبد الرحمن، واضع أصول البلاغة وهو من أئمة اللغة، من مؤلفاته: أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز، توفي سنة: (٤٧١هـ) (ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج١٨، صـ٤٣٢؛ وينظر: الزركلي، **الإعلام**، ج٤، صـ٤٨-٤٩).

[5] الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، صـ١٤٦.

[6] ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج٣، صـ ١١١؛ وينظر: الميداني، عبد الرحمن حبنكة، **البلاغة العربية: أسسها، وعلومها وفنونها**، ط١، ٢م، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦م، ج١، صـ٣١٣-٣١٤؛ وينظر: العبيدي، **دلالة السياق في القصص القرآني**، صـ١٤٧.

عند قول ا تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة: ٩٤)، جاءت هذه الآية الكريمة في سياق توبيخ بني إسرائيل على فظائعهم التي ارتكبوها، ولقد بين الإمام المحذوف في هذه الآية؛ معتمدا على السياق؛ يقول: "والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه، أي: إن كنتم صادقين فتمنوه"[١]، لقد قدر الإمام المحذوف من الجملة بالنظر إلى سياق الآية العام؛ فالسياق هو الركيزة الأساسية عند أبي السعود في الكشف عن المحذوف من الخطاب القرآني.

هذا وقد أشار العلامة أبو حيان إلى هذا المحذوف؛ ولكنه لم يشر إلى أثر سياق الآية في تقدير المحذوف؛ يقول: "﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم أن الجنة لكم دون غيركم. وجواب الشرط محذوف أي: فتمنوا الموت. وعلق تمنيهم على شرط مفقود، وهو كونهم صادقين، وليسوا بصادقين في أن الجنة خالصة لهم دون الناس، فلا يقع التمني، والمقصود من ذلك التحدي وإظهار كذبهم، وذلك أن من أيقن أنه من أهل الجنة، اختار أن ينتقل إليها، وأن يخاص من المقام في دار الأكدار، وأن يصل إلى دار القرار"[٢].

ومثله عند قول ا تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾(النساء: ٣٨)؛ جاءت هذه الآية الكريمة في وصف الكفار، والتنفير من حالهم، وهنا يحدد الإمام المحذوف في هذه الآية، ويقدره من سياق الآية نفسها، ويعلل سبب الحذف قائلا: "﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ أي فقرينُهم الشيطان وإنما حذف للإيذان بظهوره واستغنائِه عن التصريح به، والمراد به إبليس وأعوانُه حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ (الإسراء: ٢٧) ويجوز أن يكون وعيداً لهم بأن الشيطان يقرن بهم في النار"[٣]، يلاحظ أنه استند إلى سياق الآية وهو الحديث عن الشيطان وأوليائه، وأنواع القبائح التي ارتكبها؛ فحذف ما استعيض عن ذكره بالسياق وهو (قرينهم الشيطان).

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، ص ١٦٧.
[2] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، ص ٤٧٨.
[3] العمادي، المصدر نفسه، ج٢، ص ١٣٦.

ومما يبين طريقة الإمام العمادي في الكشف عن المحذوف، وتقديره بالاعتماد على السياق ما في قول ا عز وجل: ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ (الأنبياء: ٥)؛ جاءت هذه الآية المحكمة في سياق الحديث عن الكفار وجناياتهم وإعراضهم عن الحق الذي بعث به النبي ρ، يقول تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ (الأنبياء: ٢-٣)؛ يريدون بقولهم هذا هدم أمر النبوة؛ فقد ارتكز في اعتقادهم أن الرسول لا يكون إلا ملكاً، وهذا افتراء بين، وهنا يكشف العلامة العمادي بحنكته عن المحذوف من هذه الآية الكريمة؛ فيقول: "﴿ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ ﴾ جواب شرطٍ محذوفٍ يفصح عنه السياقُ، كأنه قيل: وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولاً من ا تعالى فليأتنا بآية"[١]، يلاحظ أن الإمام كشف عن وجود محذوف في الآية الكريمة، ثم قدره بالاعتماد على السياق، للمتأمل أن يدرك بأن الإمام يتعامل مع الخطاب القرآني على أنه وحدة واحدة؛ فالظاهر من السياق يكشف عن المحذوف منه، والمحذوف يتجلى ويقدر بالسياق.

ومن هذه الأمثلة وغيرها[٢]، يتضح مدى اعتناء الإمام العمادي على السياق القرآني في الكشف عن الألفاظ والجمل المحذوفة من الخطاب القرآني، وبيان سبب حذفها، وتقديرها بما يتلاءم وينسجم مع السياق؛ معبرا عن ذلك بقوله: "حذفَ لدلالة المذكور عليه" أو "محذوف لدلالة ما سبق عليه" أو "لدلالة ما تقدم عليه" أو "حذف تعويلا على ما ذكر" وغيرها من العبارات التي تعكس مدى ما تميز به الإمام العمادي من فهم عميق للقرآن الكريم، ونظرة ثاقبة يرى من خلالها المحذوفات من الخطاب القرآني؛ فيقدرها معتمدا على المعنى السياقي للآيات الكريمة، فيملأ بتقديره للمحذوفات الفراغات الحاصلة عن هذا الحذف؛ الذي يمثل سرا من أسرار الإعجاز القرآني وسمة لبديع بلاغته.

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٤، صـ٣٢٤.

[2] ولمزيد من الأمثلة؛ ينظر: العمادي، المصدر نفسه، ج١، صـ ٩٠، (البقرة: ٢٣)؛ وينظر: ج١، صـ١١٦، (البقرة:٣٣)؛ وينظر: ج١، صـ ٣١١، (البقرة: ٢٦٨)؛ وينظر: ج٢، صـ٢٠٧، (النساء: ١٣٥)؛ ينظر: ج٢، صـ ١٧١، (النساء: ٨٤)؛ وينظر: ج٣، صـ ١٨١، (التوبة: ٩٥)؛ وينظر: ج٤، صـ١٦٨، (الكهف: ٦)؛ وينظر: ج٥ـ صـ٢٧٣، (فاطر: ٨)؛ وينظر: ج٦، صـ٢٤٨، (الجمعة: ٦).

المبحث الثالث: أثر السياق القرآني عند أبي السعود في الترجيح؛

المطلب الأول: الترجيح بين الروايات التفسيرية

إن النظر في السياق القرآني قبل الاستدلال بالمرويات من أهم قواعد تفسير كتاب ا تعالى، فإن كل رواية في التفسير -سواء المنسوبة للنبي ρ، أو الموقوفة على أحد الصحابة- لا تَصلُح تفسيرا للآيات إلا بعد أن يراعى فيها جانبان[١]:

١. التحقق من صحة الرواية سنداً.

٢. والتحقق منها متناً؛ بالنظر في موضوعها ووجه ارتباطها بالسياق.

فإذا تثبتنا من هذين الجانبين؛ قُبلت الرواية، وإلا ردت؛ فإن المفسر إذا فسر الآيات بالمرويات الضعيفة؛ قد تسوقه إلى معان لا تليق بالسياق القرآني، بل وقد تحرف فهمه عن بلوغ غاية السياق في بيان المعاني المرادة، وإذا ما أهمل المفسر جانب مراعاة السياق؛ فلسوف يقع في الإغراب عن فهم مراد ا تعالى من كلامه الكريم، ويفتح –بقصد أو بدون قصد- ثغرة في المعنى السياقي يرمي أصحاب الشبهات والأباطيل سمومهم من خلالها[٢].

لهذا حافظ الإمام العمادي على ترجيح ما يتلاءم من المرويات مع السياق، ورد ما يتعارض معه، وأمثلة ذلك ليست كثيرة؛ منها:

قول ا تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ (آل عمران: ١٢) وردت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن بيان حال من كفر بالقرآن الكريم، إثر ما بين من الدين الحق والتوحيد وذُكر من أحوال الكتب الناطقة به، وما شُرح من شأن القرآن وكيفية إيمان العلماء الراسخين به، فجاءت هذه الآية تواصل الحديث عن أهل الكتاب من اليهود، وتبعها إنذارهم بقرب هزيمتهم في الدنيا، وهذه أحداث حصلت بعد واقعة بدر، ولقد بين العلامة العمادي الروايات الواردة في نزول هذه الآية؛ يقول: "روي عن ابن عباس رضي ا عنهما أن يهود المدينة لما شاهدوا غلبةَ رسول ا صلى ا عليه وسلم على المشركين يوم بدرٍ قالوا: وا إنه النبي الأمي الذي بشرنا به موسى في التوراة نعتُه وهموا باتباعه فقال بعضهم: لا تعجلوا حتى ننظُر إلى وقعة له أخرى فلما كان يوم أحد شكّوا وقد كان بينهم وبين رسول ا عهد إلى مدة فنقضوه وانطلق كعب بن الأشرف في ستين راكباً إلى أهل مكة فأجمعوا أمرهم

---

[1] ينظر: عباس، **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ج١، صـ٢١٦؛ وينظر: المثنى عبد الفتاح، **نظرية السياق القرآني**، صـ١٤٨-١٤٩.

[2] ينظر: الغماري، عبد ا محمد، **بدع التفاسير**، ط١، ١م، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦٥م، صـ١١؛ وينظر: المثنى عبد الفتاح، المرجع نفسه، صـ١٤٥.

على قتال رسول ا صلى ا عليه وسلم فنزلت[١]، وعن سعيد بن جبير وعِكرمةَ عن ابن عباس رضي ا عنهم أن النبي صلى ا عليه وسلم لما أصاب قريشاً ببدر ورجع إلى المدينة جمع اليهود في سوق بني قَينُقاع فحذّرهم أن ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا: لا يغرنك أنك لقِيت قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فأصبتَ منهم فرصة لئن قاتلْتَنا لعلِمتَ أنا نحن الناس فنزلت[٢]"[٣]، وهذه الأسباب عين ما ذكره الإمام الواحدي[٤] في كتابه (أسباب نزول القرآن)، ثم رد العلامة العمادي بعد ذلك رواية منقولة عن مقاتل τ؛ لأنها تؤدي إلى تفكك النظم الجليل وتفرق طرفي السياق؛ يقول: "وأما ما روي عن مقاتل من أنها نزلت قبل بدر وأن الموصول عبارة عن مشركي مكةَ ولذلك قال لهم النبي صلى ا عليه وسلم يوم بدر: «إن ا غالبكم وحاشركم إلى جهنم وبئس المهاد» فيؤدي إلى انقطاع الآية الكريمة عما بعدها لنزوله بعد وقعة بدر"[5]، إذن ما روي عن مقاتل τ يؤدي إلى تناقض طرفي السياق؛ فيتوسط الحديث عن كفار قريش الحديثَ عن اليهود، وهذا يخل بالنظم الكريم، ولا يتناسب معه؛ لذلك رد العلامة هذ الرواية؛ بدلالة السياق.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْۛ أَرْبَعِينَ سَنَةًۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٦)؛ يقول: "وروي أن هارون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة، ودخل يوشع أريحا بعد موته بثلاثة أشهر، ولا يساعده ظاهر النظم الكريم، فإنه تعالى بعد ما أقبل على بني إسرائيلَ وعذبهم بالتيه بعيد أن ينجي بعض المدعو عليهم أو ذراريهم ويقدر وفاتَهما في محل العقوبة ظاهراً، وإن كان ذلك لهما منزلَ روحٍ وراحةٍ "[٦]؛ هذه رواية جاءت عند الطبري عن ابن عباس ψ[٧]، ردها الإمام لتصادمها مع سياق النظم الكريم؛ فالرواية تنقل لنا

---

1 ويعلق الدكتور ماهر ياسين الفحل على هذه الرواية قائلا: "إسناده ضعيف جدا؛ الكلبي كذاب، وأبو صالح ضعيف، وقال الكلبي لسفيان الثوري: كل ما حدثتك عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب"(ينظر: الواحدي، **أسباب النزول**، صـ٢١٨).

2 يقول الدكتور ماهر الفحل: "هذه الرواية من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد بن جبير وعكرمة، عن ابن عباس، ومحمد بن أبي محمد مجهول"(الواحدي، المصدر نفسه، صـ٢١٩)

3 العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ٣٤٠؛ وينظر: الواحدي، أبو الحسن علي (ت ٤٦٨هـ)، **أسباب نزول القرآن**، ط١، ١م، (تحقيق: ماهر ياسين الفحل)، دار الميمان، الرياض، ٢٠٠٥م، صـ٢١٨-٢١٩.

4 الواحدي هو أبو الحسن علي بن أحمد، مفسر وعالم بالأدب، شافعي المذهب، وعاش وتوفي في نيسابور، له مؤلفات عدة؛ منها: أسباب النزول، شرح الأسماء الحسنى، توفي سنة: (٤٦٨هـ) (ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٥، صـ ٢٩١-٢٩٢).

5 العمادي، المصدر نفسه، ج١، صـ ٣٤٠.

6 العمادي، المصدر نفسه، ج٢، صـ٢٥٨.

7 ينظر: الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ط١، ٢٦م، (تحقيق: عبد ا التركي)، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، ٢٠٠١م، ج٨، صـ٣١٠-٣١١، عن عكرمة عن ابن عباس ψ.

خبر وفاة سيدنا موسى وهارون -عليهما السلام- في التيه، وهذا وإن كان ظاهره فيه الخير لهما؛ إذ فيه الراحة من بني إسرائيل وعصيانهم، لكنه لا يتلاءم مع سياق الآيات المتحدث عن استجابة ا تعالى لدعوة سيدنا موسىυ على قومه العصاة؛ يقول ا تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٥)؛ فكيف يتصور أن ينجي ا تعالى بعض المدعو عليهم من بني إسرائيل أو ذراريهم، ويقبض سيدنا موسى وأخيه –عليهما السلام- في التيه وهو مكان العقوبه وغضب ا عز وجل، فرد العلامة العمادي هذا الخبر معتمدا على السياق، وعلى الرغم من أن الأخبار بموتهما عليهما السلام في التيه كثيرة، لا سيما الأخبار بموت هارون عليه السلام، ولعل ذلك أنكى لبني إسرائيل[١].

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٨)؛ يقول: "﴿ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ بيان لأحوال الأمم المذكورة في الآخرة بعد بيان أحوالها في الدنيا... والتعبير عنها بالأمم أي إلى مالك أمورهم يحشرون يوم القيامة كدأبكم لا إلى غيره فيجازيهم فينصِفُ بعضهم من بعض حتى يبلُغ من عدله أن يأخذ للجماءِ من القَرناء[٢]. وقيل: حشرها موتها. ويأباه مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال"[٣]؛ لقد رد الإمام قولا نقله الإمام الطبري عن سيدنا ابن عباس τ، وإن لم يشر العمادي إلى ذلك من خلال حديثه[٤]؛ فقد رد قوله لأنه قد خالف السياق ولم ينسجم معه؛ فسياق الآيات متحدث عن كمال قدرة ا تعالى وشمول علمه وسعة تدبيره، وبيان أن القرآن الكريم قد تضمن مراعاة مصالح جميع المخلوقات، وسياق تعظيم شأن ا تبارك وتعالى لا يناسبه إلا التهويل؛ لذلك فإن رواية سيدنا ابن عباس –رضي ا عنهما- لا تناسب سياق الآيات، وهذا سبب وجيه لردها؛ فإن عدول الرواية عن السياق كفيل بردها.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ مِنكُمۡ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴾ (الحجر: ٢٤) يرد سببين لنزول هذه الآية؛ لتعارضهما مع طرفي السياق؛ يقول: "﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَقۡدِمِينَ

---

[١] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج٦، صـ ١١٠.
[٢] الجماء: هي الشاة التي لا قرن لها، والقرناء: هي الشاة ذات القرون (ينظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة**، صـ ١٨٤
[٣] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٢، صـ ٣٨٠.
[٤] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٩، صـ ٢٣٥، قوله: "قال ابن عباس: موت البهائم حشرها".

مِنكُمۡ ﴾ من تقدم منكم ولادةً وموتاً ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡنَا ٱلۡمُسۡتَـٔۡخِرِينَ ﴾ من تأخر ولادةً وموتاً أو من خرج من أصلاب الآباءِ ومن لم يخرج بعد، أو من تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة ومن تأخر في ذلك، لا يخفى علينا شيء من أحوالكم، وهو بيان لكمال علمِه بعد الاحتجاج على كمال قدرتِه... وقيل: رغّب رسول ا صلى ا عليه وسلم في الصف الأول فازدحموا عليه فنزلت، وقيل: إن امرأةً حسناء كانت تصلي خلف رسول ا صلى ا عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها، وتأخر آخرون ليروها فنزلت، والأول هو المناسب لما سبق وما لحق من قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحۡشُرُهُمۡۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾ (الحجر: ٢٥)"[1]؛ وبذلك يتضح أن الإمام العمادي يرد هذه الرواية المنكرة ويسقطها –كما فعل كثير من المفسرين-؛ لأنها لا تنسجم مع سياق ولحاق الآيات؛ فسباق الآية يتحدث عن عظيم قدرته تعالى في الإحياء والإماتة؛ قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحۡنُ نُحۡيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴾ (الحجر: ٢٣) وهذا المعنى لا يتناسب مع معنى الرواية الأولى[2] المتحدثة عن صفوف الصلاة، ولا مع الثانية التي نقلت خبر تلك المرأة، ولقد أشار الدكتور ماهر ياسين الفحل في تحقيقه لكتاب الواحدي إلى أن هذا الحديث معلول؛ أعله الترمذي بالإرسال؛ قائلا: "وروى جعفَر بن سلَيمان هذَا الْحدِيثَ عن عمرِو بن مالِكٍ عن أَبِي الْجوزاءِ نَحوه ولَم يذْكُر فِيهِ عن ابن عباسٍ وهذَا أَشْبه أَن يكُون أَصح مِن حدِيثِ نُوحٍ"[3].

هذا وإن لحاق الآية يتحدث عن قدرة ا تعالى على الإحياء والبعث للحشر والحساب، وهذا أيضا لا يتناسب مع معنى الروايتين؛ فلو افترضنا جدلا أن إحدهما سبب لنزول هذه الآية؛ فلسوف يتفرق طرفا النظم الجليل، ويختل توازنه، لذلك رد الإمام كون أحدهما سببا لنزولها.

يتضح مما ذُكر خطوط منهج الإمام العمادي في إبراز أثر السياق القرآني في التعامل مع المرويات؛ فهو يعترف عمليا بأثره في ترجيح أو قبول المرويات الواردة في تفسير الآيات؛ وإن لم يكن له عناية خاصة بتخريج الروايات والحكم عليها؛ صحة أو ضعفا؛ فهو يقبل ما ينسجم مع سباق الآيات ولحاقها، ويرد ما يتعارض معها[4].

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٤، ص١٥.

[2] ينظر: الواحدي، **أسباب نزول القرآن**، ص٤٥٨؛ وينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج١٤، ص٥٣، عن أبي الجوزاء τ.

[3] ينظر: الواحدي، المصدر نفسه، ص٤٥٧؛ ونوح: هو ابن أبي مريم، أبو عصمة المروزي، وقال البخاري: منكر الحديث، قال ابن حبان: جمع كل شيء إلا الصدق (ينظر ترجمته: الذهبي، أبو عبد ا محمد، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ٤م، (تحقيق: علي البجاوي)، دار المعرفة، بيروت، ج٤، ص٢٧٩-٢٨٠)

[4] ولمزيد من الأمثلة؛ ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٣، ص٤٠٨، (يوسف: ٥٩)؛ وينظر: ج٤، ص٣٦٠، (الأنبياء: ١٠٣)؛ وينظر: ج٤، ص٤٧٦، (النور: ٥١)؛ وينظر: ج٦، ص٧٤،(الأحقاف: ١٧).

المطلب الثاني: الترجيح بين الآراء التفسيرية

يقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾ (الروم: ٢٢) إن الاختلاف بين البشر مركوز في فطرتهم؛ وهو إما محمود أو مذموم، والاختلاف بين العلماء تتسع فيه المدارك والآفاق الفكرية، ويزداد فيه العالِم معرفة، فتُصقل فيه الآراء، ويعرف الراجح من المرجوح منها.

هنالك موازين توزن فيها الآراء التفسيرية من أهمها السياق القرآني؛ فما ينسجم معه من الآراء يقبل وما يتعارض معه يرد ولا يلتفت إليه؛ فليس من المناسب تفسير آيات القرآن الكريم بمعزل عن سياقها الذي وردت فيه[1]، و"لا ريب في أنه يجب حمل النظم الجليل على أجزل المعاني وأكملها"[2]، لذلك يلاحظ القارئ في تفسير الإمام العمادي اتخاذه من السياق القرآني ميزانا يزن به آراء المفسرين الذين سبقوه، فتراه كثيرا ما كان يرد آراءهم؛ لعدم انسجامها مع السياق القرآني؛ فالرأي التفسيري إذا مجه السياق يرده الإمام، ولو كان صاحب ذلك الرأي من كبار علماء التفسير، فهذه القاعدة المهمة يجب اتباعها خصوصا عند كثرة الآراء واختلافها؛ وكان يقول -رحمه الله تعالى- عند تعدد الآراء في تفسير آية كريمة: "تأمل هذه الأقوال واختر منها ما يساعده النظم الجليل"[3]، فهذه القاعدة تضمن للمفسر سلامة تفسيره لكلام الله تعالى، وتحفظ للخطاب القرآني قدسيته وتنزهه عن الخلل في الفهم.

والنماذج التي توضح طريقة الإمام في التعامل مع الآراء التفسيرية بالاعتماد على السياق- كثيرة جدا؛ وهي من الأهمية بمكان، وهذا يقتضي تقسيمها إلى ثلاثة أقسام، إذ يلاحظ اعتماده تارة على السياق، وأخرى على اللحاق، وتارة عليهما معا؛ كالتالي:

أولا: تعامل أبي السعود مع الآراء التفسيرية بالاعتماد على السباق

في قول الله عز وجل: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (البقرة: ٧٨) هنا يرد الإمام ما ذهب إليه بعض المفسرين في معنى كلمة ﴿ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ و﴿ أَمَانِىَّ

[1] ينظر: عباس، **التفسير أساسياته واتجاهاته**، صـ٢٥٧؛ وينظر: المثنى عبد الفتاح، **نظرية السياق القرآني**، صـ٣٤٤.

[2] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ٥٧.

[3] العمادي، المصدر نفسه، ج٥، صـ٣٥٠.

﴾؛ اعتمادا على السباق؛ يقول: "﴿لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي لا يعرفون التوراةَ ليطالعوها ويتحققوا ما في تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا، وحملُ الكتاب على الكتابة يأباه سباقُ النظم الكريم وسياقُه ﴿إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾... أي لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أماني حسبما منّتْهم أحبارهم من أن ا سبحانه يعفو عنهم وأن آباءهم الأنبياء يشفعون لهم، وغير ذلك من أمانيهم الفارغةِ المستندة إلى الكتاب على زعم رؤسائِهم. أو لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقْبلونه من غير أن يتمكنوا من التدبر فيه، وأما حملُ الأماني على الأكاذيبِ المختلفة على الإطلاق من غير أن يكون لها ملابسةٌ بالكتاب فلا يساعده النظم الكريم"[١]؛ إن سباق الآية الكريم يتحدث عن بني إسرائيل ويعدد قبائحهم ويسجل عليهم الكفر والضلال؛ بدء من قول ا عز وجل : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ (البقرة: ٤٠) إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ (البقرة: ٧٦)، وهذا السباق ينسجم تمام الانسجام مع ما تفضل به الإمام؛ فبنو إسرائيل لا يعرفون قدسية كتاب ا تعالى؛ لأنهم لم يقرأوه، وليس لأنهم لا يعرفون الكتابة لذلك لم يقرأوا التوراة؛ كما رجح الإمام البيضاوي[٢]؛ إذ حمل معنى الكتاب على الكتابة.

هذا وإن الأماني لا تفسر هنا إلا بما ينسجم مع السباق؛ فالحديث عن بني إسرائيل وتفريطهم بكتاب ا تعالى وتلبيسهم عليه- يستدعي أن تفسر كلمة (أماني) بما يتلاءم مع هذا المعنى؛ كما بينه الإمام، وليس من الصواب أن تحمل الأماني على معنى الأكاذيب مطلقا، كما ورد عن ابن عباس ومجاهد –رضي ا عنهم-[٣]؛ فإن ذلك لا يناسب سباق النظم الكريم وسياقه. وبهذا يلاحظ حزم الإمام العمادي في الترجيح بين الآراء الواردة على تفسير الآيات؛ فعلى الرغم من جلالة قدر ابن عباس ومجاهد رضي ا عنهم، ومنزلة الإمام البيضاوي الرفيعة وسطوع نجمه في آفاق علم التفسير؛ إلا أن الإمام قد رد إمكانية تفسير الآية بأقوالهم؛ لأنها تتعارض مع السباق والسياق، ورجح ما يتناسب معهما.

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ١٥٤.
[2] البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، صـ٨٩.
[3] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٢، صـ ١٦٥.

وفي قول ا تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ (النساء: ٢٨) يرد الإمام العمادي قولا للحسن رضي ا عنه في بيان معنى الضعف عند الإنسان في هذه الآية؛ لمخالفته سباق النظم الكريم؛ يقول: "﴿ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ عاجزاً عن مخالفة هواه غير قادرٍ على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهواتِ ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعاتِ. وعن الحسن أن المراد ضعفُ الخِلْقةِ، ولا يساعده المقام، فإن الجملةَ اعتراض تذييلي مسوقٌ لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الإماءِ، وليس لضعف البنيةِ مدخلٌ في ذلك، وإنما الذي يتعلق به التخفيفُ في العبادات الشاقةِ"[1]؛ لقد رد الإمام قولَ الحسن –رحمه ا تعالى- بناء على السياق؛ لأنه لم ينسجم مع سباق الآيات؛ فتفسير الضعف الذي وصِف الإنسان به هو بمعنى ميل النفس ولينها تجاه النساء، وهذا يستدعي ما ذهب إليه الإمام أولا.

ثم بين العلامة العمادي مناسبة هذه الآية لما سبقها؛ فهي جاءت لتقرر ما في سباقها من حديث عن الرخصة التي شرعها ا تعالى في نكاح الإماء؛ يقول ا تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴾ (النساء: ٢٥-٢٦)، وهذا التفسير هو الذي يوحد معاني الآيات، ويحافظ على انسجامها مع بعضها، وينأى بالنظم الكريم عن الفهم السقيم.

وعند قول ا عز وجل: ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴾ (إبراهيم:٤٤) لقد

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم** ، ج٢، صـ١٢٨.

رد العلامة العمادي تفسير الإمامين الزمخشري[1] والبيضاوي[2] –رحمهم ا جميعا- في ما ذهبا إليه في معنى (العذاب) في هذه الآية، مستندا إلى السباق؛ يقول: "وقيل: هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاءِ الملائكة بلا بشرى، أو يوم هلاكِهم بالعذاب العاجل، ويأباه القصر السابق"[3]، يشير الإمام هنا إلى سباق الآية، وهو الحديث عن اليوم الآخر ووصفه بالقصر السابق في قول ا تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (إبراهيم: ٤٢)؛ إذ قصر الموصوف وهو (تأخير عذابهم) على وصف (اليوم الذي تشخص فيه الأبصار)؛ فا تعالى لا يمهلهم إلا لأجل العذاب الأخروي الذي ينتظرهم، وما من داع لحمل العذاب على سكرات الموت أو نهاية آجالهم، إذن فالعذاب المذكور ليس إلا العذاب الأخروي؛ بقرينة السباق، وبتأمل الآية ذاتها لا بد أن يفهم من سياقها أن المقصود هو يوم القيامة؛ ذلك اليوم الذي يغلق فيه باب العمل، وتنشر الصحائف ويعرض الخلق للحساب. نسأل ا الثبات!

ومنه قوله عز وجل على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام : ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ (مريم: ٤٨) في هذه الآية يرجح الإمام رأيا تفسيريا ويستدل بالسباق والسياق عليه؛ يقول: "﴿وَأَدْعُواْ رَبِّى﴾ أعبده وحده، وقد جوز أن يراد به دعاؤه المذكور في تفسير سورةِ الشعراء، ولا يبعد أن يراد به استدعاء الولد أيضاً بقوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ (الصافات: ١٠٠) حسبما يساعده السباق والسياق"[4]، جاءت هذه الآية الكريمة في سلك الحديث عن دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه وأباه للإيمان معه؛ بدء من قولهY: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٤١)، ولكنهم أبوا ذلك وعادوه واجتمعوا على تعذيبه، وصار القوم كلهم ضده؛ فكان منه عليه السلام في هذا الموقف العصيب أن يلجأ تعالى، ويتضرع إليه بالدعاء طلبا للنصرة والعون على تبليغ الرسالة التي أسنِد إليه أمر تبليغها؛ يقول ا تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ

---

[1] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، صـ٥٢٩.
[2] ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج٣، صـ٢٠٢.
[3] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٣، صـ٤٩٨.
[4] العمادي، المصدر نفسه، ج٤، صـ٢٤٤.

ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء٨٣-٨٩)؛ فدعا ا عز جلاله أن يرزقه الولد الصالح ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾؛ وهذا المعنى الذي قال به العمادي يستدل على صحته بالسباق، وأيضا يستدل عليه باللحاق؛ أليس فيه معنى ما أنعم ا تعالى من ولد على سيدنا إبراهيم؛ إسحاق ويعقوب عليهما السلام، قال ا تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ (مريم: ٤٩)، من هذه الأمثلة التطبيقية يتضح اعتماد الإمام على ما يناسب السباق والسياق في ترجيحه وقبوله، أو رده للآراء التفسيرية[١].

ثانيا: تعامل أبي السعود مع الآراء التفسيرية بالاعتماد على اللحاق

يلاحظ مما سبق حرص أبي السعود على اختيار المعاني التفسيرية الأكثر انسجاما مع سباق الآيات، ورد كل ما لا يتلاءم معه، وفيما يلي بعض النماذج التي تبرز أثر السياق القرآني في الترجيح بين الآراء التفسيرية في تفسير العلامة العمادي بالاعتماد على اللحاق**؛** فعند قول ا تبارك وتعالى: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾(البقرة: ٦٤)؛ جاءت هذه الآية الكريمة في سياق تعداد فظائع بني إسرائيل، والتنفير من أفعالهم؛ ولقد اعتمد الإمام على اللحاق؛ في ترجيح المعنى الأنسب بكلمة (الفضل) في الآية؛ يقول: "﴿ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ ﴾ بتوفيقكم للتوبة أو بمحمدٍ صلى ا عليه وسلم حيث يدعوكم إلى الحق ويهديكم إليه

﴿ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ أي المفتونين بالانهماكِ في المعاصي والخبطِ في مهاوي الضلال عند الفترة. وقيل: لولا فضلُه تعالى عليكم بالإمهال وتأخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الأنسب بما بعده"[٢]، وهذا القول الأخير قد ذكره الإمام الرازي[٣]، ورجحه العمادي وقدمه على المعنى الذي ذكره أولا –وهو قوله: "بتوفيقكم للتوبة أو بمحمدٍ صلى ا عليه وسلم حيث يدعوكم إلى الحق"-؛ لأنه أكثر تناسبا مع اللحاق الذي يتحدث عن أصحاب السبت الذين لم يمهلهم ا عز وجل ولم

---

[1] ولمزيد من الأمثلة؛ ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٢، صـ٣٨٧، (الأنعام: ٥١)؛ وينظر: ج٣، صـ٣٠٠، (هود: ٢٤)؛ وينظر: ج٤، صـ٣٨٨، (الحج: ٤٧)؛ وينظر: ج٤، صـ٤٩٨، (الفرقان: ١٤)؛ وينظر: ج٥، صـ١٠٥، (النمل: ٨٧)؛ وينظر: ج٦، صـ٣٨٠، (عبس: ٢٦).

[2] العمادي، المصدر نفسه، ج١، صـ١٤٣.

[3] ينظر: الرازي، **مفاتيح الغيب**، ٣، صـ١٠٩.

يؤخرهم بل أتاهم العذاب بغتة جزاء بما كانوا يعملون؛ قال ا تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٦٥-٦٦)؛ يقول الإمام تعليقا على هذه القصة: "فالمعنى وبا لقد علمتوهم حين فعلوا من قبيل جناياتكم ما فعلوا فلم نُمهلْهم ولم نؤخر عقوبتَهم بل عجلناها"[1]، هذه عبارة تثبت اعتماده – رحمه ا تعالى- للمعنى الذي نقله الإمام الرازي، وهو الألصق باللحاق، وليس المعنى الذي ذكره بداية، إذن يلاحظ أنه يذكر المعاني المحتملة للآية، ثم يرجح ما يتناسب مع اللحاق، ويطرح ما عداه.

وفي قول ا تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾(النساء: ١٥٤)؛ جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن بني إسرائيل وتماديهم في الضلال، وبيان صفاتهم القبيحة وأعمالهم السيئة، وهنا يتوصل الإمام إلى معنى الآية بالاعتماد على لحاقها، وعلى سياق القصة القرآنية؛ يقول: "﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ ﴾ أي بسبب ميثاقِهم ليعطوه على ما روي أنهم هموا بنقضه فرفع ا تعالى عليهم الجبلَ فجاؤا وأقلعوا عن النقض وهو الأنسب بما سيأتي من قوله عز وجل: ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ (الأحزاب:٧، والنساء: ١٥٤)"[2]؛ يفسر الإمام الآية آخذا بعين الاعتبار ما في اللحاق من حديث عن بني إسرائيل ومحاولتهم لنقض الميثاق الذي قطعوه على أنفسهم أمام ا تعالى، بأن لا يكفروا به ويطيعوا الرسل؛ يقول ا عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ٦٣)، ويقول سبحانه: ﴿ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء: ١٥٤-١٥٥)؛ إذن فقد اعتمد الإمام في ترجيحه واختياره لمعنى الآية على ما هو

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، ص١٤٣.

[2] المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٦.

أكثر مناسبة للحاق والسياق، وهذا دأبه في تفسيره إذ يتقيد بالمعنى السياقي؛ فيختار الرأي الأكثر تلاؤما مع السياق بجزأيه.

ومن الأمثلة على رد الإمام العمادي لآراء المفسرين لتعارضها مع اللحاق؛ عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ (النحل: ١١٣)؛ لقد جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الحث على شكر نعم الله تعالى، والإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وإطاعته في أوامره ونواهيه، فضرب الله تعالى مثلا؛ لترسيخ هذا المعنى في نفوس المتلقين؛ يقول سبحانه: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل: ١١٢)، لقد رد الإمام هنا قول جمهور المفسرين فيما ذهبوا إليه من أن المقصود من هذه الآية هم أهل مكة، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المتحدث عنه؛ لكن العلامة قد رد هذا الرأي قائلاً: "وأما ما أجمع عليه أكثر أهل التفسير من أن الضمير في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ ﴾ لأهل مكةَ، قد ذُكر حالُهم صريحاً بعد ما ذكر مثلُهم وأن المراد بالرسول محمد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما أصابهم من وقعة بدر- فبمعزل من التحقيق؛ كيف لا وقوله سبحانه: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ مفرع على نتيجة التمثيل وصد لهم عما يؤدي إلى مثل عاقبته، والمعنى وإذ قد استبان لكم حالُ من كفر بأنعم الله وكذب رسوله وما حل بهم بسبب ذلك من اللتيا والتي أولاً وآخِراً فانتهوا عما أنتم عليه من كفران النعم وتكذيبِ الرسول عليه السلام كيلا يحِل بكم مثلُ ما حل بهم، واعرفوا حق نِعم الله تعالى وأطيعوا رسولَه عليه السلام في أمره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه ﴿ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ وذروا ما تفترون من تحريم البحائر ونحوها﴿ وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران"[1]، هذا تطبيق عملي يجلّي طريقة الإمام في رد آراء المفسرين في تفسير الآية القرآنية؛ بالاستناد إلى اللحاق؛ فهذه الآية تتمة للتمثيل الذي سبقها، ولحاق الآية يثبت ذلك؛ فحث المخاطبين على الأكل من نعم الله تعالى وشكره عليها- إنما جاء في سياق بيان الحكمة من ضرب أهل تلك القرية مثلا؛ يقول الله تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٤، صـ٩٩.

طَيِّبًا وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (النحل: ١١٤)، وهذا فيه إبطال لما ابتدعه أهل الجاهلية؛ فمثلاً كانوا إذا نُتِجت الناقةُ خمسةَ أبطنٍ آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وحرموا ركوبها ودرها، ولا تُطرد عن ماءٍ ولا عن مرعى، وكان يقول الرجل: إذا قدِمت من سفري أو برئْتُ من مرضي فناقتي سائبةٌ، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها[1]، لذلك جاء قول الله تعالى ليبين ما أحل وما حرم من هذه النعم: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل: ١١٥)؛ وبهذا البيان يثبت العلامة بالاعتماد على لحاق الآية الكريمة صحةَ ما ذهب إليه من رأي في معنى هذه الآية، وإن كان رأيه مخالفاً لما ذهب إليه جمهور المفسرين، ووافقه في ما ذهب إليه العلامةُ الآلوسي[2] -رحمه الله-، هذا وإن رد الإمام لرأي جمهور المفسرين لا يعني الانتقاص من قدرهم –رحمهم الله تعالى جميعا-؛ ولكنها النظرة الثاقبة والقريحة المتوقدة التي تميز بها الإمام، والتي تتخير لآيات القرآن الكريم أنسب المعاني وأكثرها انسجاما مع السياق –سباقه ولحاقه-[3].

ثالثاً: تعامل أبي السعود مع الآراء التفسيرية بالاعتماد على السباق واللحاق معاً

تبين مما سبق ما تميز به العلامة العمادي من اعتماد إما على سباق الآيات وإما على لحاقها في الترجيح بين الآراء التفسيرية، وحرصه على اختيار المعنى الأكثر انسجاما مع السباق واللحاق؛ إذ لم يتردد في رد أي رأي يتعارض مع أحدهما، وفيما يلي بسط لبعض النماذج التي تبين مدى اعتماده في تفسيره على السباق واللحاق معا؛ عند قول الله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٧)؛ هذه الآية نزلت عندما جاء قوم "يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة؛ فنزل الله تعالى هذه الآية، وجائز أن

---

[1] ينظر: العمادي، المصدر نفسه، ج٢، صـ٣٢٨.
[2] ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، ج١٤، صـ٢٤٤-٢٤٥.
[3] ولمزيد من الأمثلة؛ ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ١٨٣، (البقرة: ١١١)؛ وينظر: ج٢، صـ١٣٠، (النساء: ٣٢)؛ وينظر: ج٢، صـ٣٥١، (الأنعام: ٢)؛ وينظر: ج٢، صـ٤٦٢، (الأنعام: ١٥٤)؛ وينظر: ج٣، صـ٢٦٥، (يونس: ٧٥)؛ وينظر: ج٣، صـ٤٤٥، (الرعد: ١٤)؛ وينظر: ج٤، صـ٣٩٠، (الحج: ٥٥)؛ وينظر: ج٤، صـ٤٢٣، (المؤمنون: ٦٣)؛ وينظر: ج٥، صـ٢١٥، (الأحزاب: ١٣)؛ وينظر: ج٦، صـ٦٩، (الأحقاف: ٩)؛ وينظر: ج٦، صـ١٦٩، (القمر: ٢٦).

يكون كانوا من قريش، وجائز أن يكون كانوا من اليهود"[1]، ولقد وردت هذه الآية الكريمة في سياق الإنكار وتوبيخ الكافرين على ضلالاتهم وطغيانهم وتكذيبهم واستهزائهم بالنبي ρ؛ ولقد رجح العلامة العمادي فيها المعنى الأكثر تلاؤماً مع سباقها ولحاقها؛ يقول رحمه ا عز وجل :

"وقوله تعالى: ﴿ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ استئنافٌ كما قبله مقرر لمضمون ما قبله أي كبرت وشقتْ على أهلهما من الملائكة والثقلين كل منهم أهمه خفاؤُها وخروجها عن دائرة العقول، وقيل: عظُمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها وأهوالها، وقيل: ثقلت فيهما إذ لا يطيقها منهما ومما فيهما شيء أصلاً، والأولُ هو الأنسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى: ﴿لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ﴾فإنه أيضاً استئنافٌ مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثِقَل من حيث الخفاء أي لا تأتيكم إلا فجأةً على غفلة"[2]؛ تعددت الآراء حول تفسير ماهية ثقَل الساعة في السماوات والأرض؛ ويلاحظ جليا اعتماد العلامة العمادي على السباق واللحاق؛ في ترجيح معنى ثقل الساعة في هذه الآية من حيث الخفاء والغموض، لا من حيث الإشفاق من وقوعها، ولا من حيث عدم تحملها وإطاقتها؛ فسباق هذه الآية كان توبيخا للكفار على ضلالاتهم؛ بدء من قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف: ١٨٤)، إلى قوله سبحانه: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٦)، ولحاقها يتحدث عن كون قدومها فجأة وعن اعتراف النبي صلى ا عليه وسلم بعدم قدرته على الإحاطة بموعدها؛ يقول عز وجل : ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ (الأعراف:١٨٨)؛ ومن هذا الأنموذج يدرك مدى حرص الإمام على استحضار السياق بطرفيه؛ سباقا ولحاقا- خلال تفسيره لكلام ا تعالى، ومدى تأثير كل من السباق واللحاق على تفسير الآيات وترجيح الآراء التفسيرية عنده.

وعند قول ا تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ (يونس: ٧٧)؛ جاءت هذه الآية الكريمة في سياق عرض الحوار بين سيدنا موسى عليه السلام وقومه عندما جاءهم بدعوة الحق، وهنا قد رد أبو السعود صدور هذا القول من طرف سحرة

---

[1] الطبري، **جامع البيان**، ج١٠، صـ٦٠٥.
[2] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٣، صـ٦٢.

فرعون؛ بالاعتماد على السباق واللحاق؛ وهذا قوله بتمامه: "وأما تجويز أن يكون الكل مقولَ القول على أن المعنى أجئتما السحر تطلُبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون؟ فمما لا يساعده النظم الكريم أصلاً أما **أولاً**: فلأن ما قالوا هو الحكم بأنه سحر من غير أن يكون فيه دِلالةٌ على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرفُ جوابِه عليه السلام عن صريح ما خاطبوه به إلى ما لا يفهم منه أصلاً مما يجب تنزيه النظمِ التنزيلي عن الحمل على أمثاله وأما **ثانياً**: فلأن التعرض لعدم إفلاحِ السحرةِ على الإطلاق من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكثرةِ المتشبثين بأذيال بعضٍ منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الإفلاح بمن زعموه ساحراً بناء على غلبة من يأتون به من السحرة وأما **ثالثاً**: فلأن قولَه عز وجل: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا ﴾ الخ، مسوقٌ لبيان أنه عليه السلام ألقمهم الحجر فانقطعوا عن الإتيان بكلام له تعلقٌ بكلامه عليه السلام فضلاً عن الجواب الصحيح، واضطروا إلى التشبث بذيل التقليدِ الذي هو دأب كل عاجزٍ محجوجٍ وديدن كل معاند لجوج على أنه استئنافٌ وقع جواباً عما قبله من كلامه عليه السلام على طريقة قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ ﴾ الخ، حسبما أشير إليه، كأنه قيل: فماذا قالوا لموسى عليه السلام عندما قال لهم ما قال؟ فقيل: قالوا عاجزين عنه المحاجة: أجئتنا ﴿ لِتَلۡفِتَنَا ﴾ أي لتصرفنا فإن الفتلَ واللفتَ أخوان﴿عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا ﴾ أي من عبادة الأصنامِ، ولا ريب في أن ذلك إنما يتسنى بكون ما ذكر من تتمة كلامِه عليه السلام على الوجه الذي شرح إذ على تقدير كونِه محكياً من قِبلهم يكون جوابه عليه السلام خالياً من التبكيت الملجىءِ لهم إلى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في أنه لا علاقةَ بين قولِهم: أجئتنا الخ، وبين انكارِه عليه السلام لما حكي عنهم مصححةٌ لكونه جواباً عنه"[1]، هذا الأنموذج يبين إسهاب الإمام في رد آراء المفسرين؛ فقد رد هذه الأقوال علماً بأن الزمخشري[2] والبيضاوي[3] وأبي حيان[4]- رحمهم ا - قد ذهبوا إليها؛ فردها بأكثر من دليل؛ أولا: إن جعل هذا القول صادر من جانب السحرة يؤدي إلى معنى يتعارض مع سياق الآيات الكريمة؛ ويؤدي إلى فصل طرفي السياق عن بعضهما، والدليل الثاني: هو حال السحرة؛ ولو كان ذلك من كلامهم للزم منه نفي الفلاح عنهم؛ فالحكم بعدم الفلاح ينطبق على كل من زعموا أنه ساحر، والدليل الثالث: كان من اللحاق؛ إذ يتحدث عن غلبة سيدنا

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٣، صـ٢٦٦.
[2] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، صـ٣٤٤.
[3] ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج٣، صـ١٢٠.
[4] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٥، صـ١٨٠.

موسى عليه السلام للسحرة بالحجة وإلقامهم الحجر؛ فلو كان ذلك من كلامهم لفات معنى تبكيت سيدنا موسى عليه السلام لهؤلاء السحرة؛ وبذلك يتجلى للعيان قدرة هذا العالم النحرير على إدراك معاني التنزيل، وفهمه فهما دقيقاً نابعاً من مراعاته للسياق الذي حف بالآيات.

وعليه أمثلة كثيرة[١]، يتضح منها ومما سبق بسطه أن الإمام العمادي قد اتخذ من السياق في تفسيره (إرشاد العقل السليم) قاعدة أساسية يتوصل من خلالها إلى تفسير الآيات القرآنية، وميزاناً دقيقاً يوزن به آراء العلماء التفسيرية؛ فيرد آراء كبار علماء التفسير؛ لأنها لا تنسجم مع سياق الآيات؛ فتراه يسهب في الرد تارة ويجمل تارات أخرى.

وكما أنه كان يرد آراء المفسرين غير المنسجمة مع السياق، كان يدعم ويرجح آراءهم المنسجمة معه؛ ولم يكن –رحمه ا تعالى- يذكر أسماء العلماء الذين يرد آراءهم؛ فهدفه نقد الآراء المتعارضة مع السياق وردها، لا نقد أصحابها؛ فرده لآراء كبار علماء التفسير لا يعد تطاولاً عليهم –معاذ ا !- ولكنه الحرص على القرآن الكريم حتى لا يفسر بعضه بمعزل عن بعضه الآخر، فلا يقع الزلل والخطل في فهم معانيه، وكان ينظر إلى الخطاب القرآني على أنه بناء محكم واحد متماسك، فكان يتخير من المعاني التي تحتملها الآية القرآنية ما هو أكثر قرباً وانسجاماً مع سباقها ولحاقها، وموافقة لسياق القرآن الكريم العام.

---

[1] ولمزيد من الأمثلة؛ ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ ١٣١، (النساء: ٣٢)؛ وينظر: ج٢، صـ ٣٥١، (الأنعام: ٢)؛ وينظر: ج٣، صـ٢٢٨، (يونس: ٢٣)؛ وينظر: ج٣، صـ ٢٥١، (يونس: ٥٤)؛ وينظر: ج٤، صـ ٢٧٠، (طه:٩)؛ وينظر: ج٤، صـ٤٧٦-٤٧٧، (النور: ٥٣)؛ وينظر: ج٥، صـ ٦٠، (الشعراء: ١٩٨-١٩٩)؛ وينظر: ج٥، صـ٣١٢، (يس: ٧٥)؛ وينظر: ج٦، صـ١٦٨، (القمر: ١٧)؛ وينظر: ج٦، صـ٢٣٦-٢٣٧، (الممتحنة: ٥).

المطلب الثالث: الترجيح بين القراءات القرآنية

القراءات القرآنية هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معزوا إلى ناقله[١].

ولقد حظيت بجوانب اهتمام كثيرة من قِبل العلماء، بعضها يتعلق بالتوثيق والنقل، وبعضها يتعلق بالتوجيه والتعليل؛ فمن العلماء من أخذ بتعليل وتوجه هذه القراءات؛ لاعتبارات نحوية أو لغوية أو سياقية أو غيرها، وهذا ما يعرف بـ (توجيه القراءات)؛ الذي يقوم العالم فيه بالكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها وبيانها وإيضاحها[٢].

ولكن من العلماء من وقع في المفاضلة بين القراءات القرآنية المتواترة؛ وكان منهم: العلامة الطبري[٣]؛ إذ كان يرجح أحيانا قراءة على أخرى مستندا في ذلك على أساليب اللغة العربية[٤]، وغيرها وتبعه من بعده عدد من العلماء كان منهم العلامة العمادي –رحمهم ا جميعا-؛ فالقراءات القرآنية المتواترة كلها وحي من عند ا تعالى؛ ولا يمكن ترجيح بعضها على بعض لأي سبب من الأسباب؛ فإن تمكن المفسر من إدراك علة قراءة ما ولم يقو على إدراك علة القراءة الأخرى فهذا لا يعني قصور القراءة الثانية وعدم تواترها، وا تعالى هو وحده المحيط بمعاني كلامه سبحانه.

هذه قاعدة وددت التنبيه عليها قبل بيان أثر السياق القرآني في الترجيح بين القراءات عند أبي السعود العمادي؛ لأنه كان يحذوا حذو الطبري ومن وافقه في الترجيح بين القراءات المتواترة؛ وهذا مما لا يسلم لهم –رحمهم ا -؛ فكل قراءة قرآنية أجمعت الأمة على تواترها تشتمل على حكمة بيانية أو نفسية أو غير ذلك، وفيها معنى ينسجم والسياق القرآني الذي وجدت فيه، ولقد هيأ ا تعالى من العلماء الأجلاء من تتبع بعض هذه المفاضلات بين القراءات المتواترة- ومنهم الأستاذ الدكتور فضل عباس في كتابه (القراءات القرآنية وما يتعلق بها)؛ إذ تناول بعض الآيات القرآنية وعرض القراءات فيها؛ محللا ومناقشا أقول بعض العلماء فيها؛ ومنهم شيخ المفسرين الطبري[5].

وفيما يلي عرض لبعض من التطبيقات العملية من تفسير العمادي تبين طريقته في التعامل مع القراءات القرآنية باعتماد السياق؛ فعند قول ا تعالى: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الفاتحة: ٤) يبين الإمام

---

[1] ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ)، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، ط١، ١م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، صـ٤٩.

[2] ينظر: محمد، أحمد سعد، **التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية**، ط٢، ١م، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٠م، صـ٢٣.

[3] ينظر: عباس، فضل حسن، **القراءات القرآنية وما يتعلق بها**، ط١، ١م، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٨م، صـ ٢٧١.

[4] ينظر مثال عليه: الطبري، **جامع البيان**، ج١، صـ ٥٦١.

[5] ينظر مثلا: عباس، المرجع نفسه، صـ٢٧٦-٢٨١.

القراءات في كلمة ﴿ مَٰلِكِ ﴾؛ فيقول: "وقرأ أهلُ الحرمين المحترمين (مِلِك) من المُلْك الذي هو عبارةٌ عن السلطان القاهر، والاستيلاءِ الباهر، والغلبةِ التامة، والقُدرةِ على التصرف الكلي في أمور العامة، بالأمر والنهي، **وهو الأنسب** بمقام الإضافة إلى يوم الدين، كما في قوله تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ (غافر: ١٦) وقرئ (مَلْكِ) بالتخفيف و(مَلَكَ) بلفظ الماضي، (ومالِكَ) بالنصب على المدح، أو الحال، وبالرفع منوناً ومضافاً على أنه خبر مبتدأ محذوف، (ومِلِكَ) مضافاً وبالرفع والنصب"[1]؛ يلاحظ هنا:

أولا: أن الإمام قد ذكر القراءات في هذه الكلمة؛ متواترها وشاذها؛ إذ لم يتواتر في قراءتها إلا قراءة إثبات الألف (مالك)، وطرحها (ملك)[2]، وباقي القراءات التي ذكرها هي شاذة وضعيفة[3].

ثانيا: أن الإمام قد رجح رواية (مِلِك) على رواية (مالك) مع العلم أن كل منهما قراءة متواترة؛ لعدة أسباب –في نظره- منها:

١. لأن هذه القراءة تنطوي على معنى القهر والسلطان، والغلبة، وهذا يناسب سياق سورة الفاتحة؛ فهي تثبت استحقاق ا تعالى لجميع المحامد، وصفات الكمال واختصاصه بملك الدنيا، واستحقاقه للعبادة والاستعانة[4].
٢. لأنها تتناسب مع سياق الآية بكونها مضافة إلى (يوم الدين)؛ فالسياق سياق تعظيم ا تعالى، وإضافة قراءة (ملك) ليوم الدين؛ اليوم الذي يظهر فيه الحق ويتجلى، فيه زيادة تعظيم وتبجيل؛ إذن هذا السياق ينسجم مع قراءة أهل الحرمين –من وجهة نظر الإمام العمادي-؛ إذ فيها من معنى تعظيم شأن ا تعالى ما ليس في قراءة (مالك)؛ كما يرى العلامة العمادي؛ فملك يجمع مالكا ومالك لا يجمع ملكا؛ وإنما يكون للشيء وحده، تقول: هو مالك ذاك الشيء[5].
٣. استشهادا بآية سورة غافر؛ فقراءة (ملك) قد وردت في ثنايا السياق القرآني.

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ٢٣-٢٤.

[2] ينظر: ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى (ت ٣٢٤هـ)، **السبعة في القراءات**، ط بلا، ١م، (تحقيق: د. شوقي ضيف)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م، صـ١٠٤؛ وينظر: الداني، أبو عمرو عثمان (ت ٤٤٤هـ)، **التيسير في القراءات السبع**، ط٢، ١م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، صـ٢٧.

[3] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، صـ١٣٣-١٣٤؛ وينظر: القاضي، عبد الفتاح، **القراءات الشاذة وتوجيهها في لغة العرب**، ط بلا، ١م، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١م، صـ٢٤.

[4] ينظر: البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ج١، صـ٢١.

[5] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج١، صـ١٥٠؛وينظر: الفارسي، أبو علي الحسن (ت ٣٧٧هـ)، **الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد**، ط١، ٧م، (تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي)، دار المأمون للتراث، بيروت، ١٩٨٤م، ج١، صـ٩.

هذا وقد رجح الإمام هنا ما رجحه من قبله الطبري[١] والزمخشري[٢]، والبيضاوي[٣] –رحمهم ا تعالى- وغيرهم، ولكن يلاحظ أنهم لم يبرزوا علاقة القراءة الراجحة بالسياق؛ بالشكل الذي أشار إليه العمادي؛ فهو لاحظ التلاؤم بين معنى القراءة الراجحة وسياق الآيات، وسياق القرآن الكريم، ولكننا وإن كنا نعترف بأفضال هؤلاء العلماء، ونقدرهم إلا أننا نعتذر عن موافقتهم فيما ذهبوا إليه؛ وكان للأستاذ الدكتور فضل عباس تعليق قيم في سياق رده للترجيح قراءة على أخرى في هذه الآية عند الطبري؛ يقول: "والذي ندين به ونلقى ا عليه، أن كلا القراءتين صحيحة أداء ومعنى، ولكل منهما معنى تبلغ به نهاية الإيجاز وغاية الإعجاز؛ وبيان ذلك: أن الناس يفرقون بين أمرين اثنين، وهذان الأمران هما غاية كثير من الناس: أحدهما الملك، وهو حب الرئاسة وطلب القوة، والآخر هو المِلك وهو حب القنية والتملك وجمع الثروات الهائلة ولكل وجهة، والآية الكريمة بقراءتيها جاءت مبينة هاتين الغايتين اللتين تسيطران على كثير من الناس، وبأن ليس لأحد منهما شيء في ذلك اليوم، فهما وحده، فا ملك يوم الدين صاحب السلطان، لا سلطان لأحد غيره، وهذا ما ترشد إليه القراءة الأولى (ملك يوم الدين)، وهو كذلك سبحانه المتصرف وحده في شؤون الناس والكون، وهو الذي يملك كل شيء وهو الغني الحميد، وهذا ما ترشد إليه القراءة الثانية (مالك)"[٤].

ومن هذه الأمثلة عند تفسير قول ا عز وجل : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٥٣)؛ جاءت هذه الآية الكريمة في بيان سوء حال اليهود والنصارى وتحذير منهم ومن من والاهم من المنافقين؛ يقول عز وجل : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ (المائدة: ٥١-٥٢)؛ لقد بين الإمام القراءات في كلمة ﴿ وَيَقُولُ ﴾؛ قائلا: "وقُرئ بغير واو على أنه جواب سؤال نشأ مما سبق كأنه قيل: فماذا يقول المؤمنون حينئذ؟ وقرئ (ويقولَ) بالنصب عطفاً على يصبحوا، وقيل: على(يأتي) باعتبار

[1] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج١، صـ ١٥١-١٥٢.
[2] الزمخشري، **الكشاف عن حقائق التنزيل**، ج١، صـ٥٤.
[3] البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، صـ٢٨.
[4] عباس، **القراءات القرآنية**، صـ٢٧٤.

المعنى كأنه قيل: فعسى أن يأتي ا بالفتح ويقولَ الذين آمنوا، **والأولُ أوجه**؛ لأن هذا القول إنما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامةِ المنافقين لا عند إتيان الفتح فقط، والمعنى: ويقول الذين آمنوا مخاطِبين لليهود مشيرين إلى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتَهم ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم في السراء والضراء عند مشاهدتهم لخَيبة رجائِهم وانعكاس تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به، تعجيباً للمخاطَبين من حالهم وتعريضاً بهم"[١]، لقد اختلف القراء في هذه الكلمة في إدخال الواو وإخراجها والرفع والنصب[٢]، يلاحظ هنا أن الإمام قد بين وجهين من هذه القراءات المتواترة؛ وقد سار في هذا على نهج من سبقه من علماء التفسير كالطبري[٣] والزمخشري[٤] وأبي حيان[٥] وغيرهم –رحمهم ا تعالى-؛ ولكن لم يرجح أحدهم قراءة على أخرى؛ باعتماد السياق كما فعل الإمام؛ فالقراءة الأولى[٦]، رجحها على الثانية؛ لأنها الأليق بالمقام والمعنى السياقي-في نظره-؛ على أنه استئناف بياني فيه جواب على سؤال من يسأل: ماذا يقول الّذين آمنوا حينئذٍ؟[٧]؛ أي إذا جاء الفتح أو أمر من قوة المسلمين ووهن اليهود يقول الّذين آمنوا... وهذا الأنسب بسياق التعريض بالمنافقين وتوبيخهم.

وأيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴾ (طه: ٩٦)؛ جاءت هذه الآية على لسان السامري الذي ابتدع عبادة العجل في بني إسرائيل، خلال المدة التي قضاها سيدنا موسى عليه السلام في ميقات ربه سبحانه؛ فجاءت في سياق حوار سيدنا موسى عليه السلام معه؛ ولقد عرض الإمام العمادي هنا القراءات المتواترة في ﴿يَبْصُرُوا ﴾، كما هو منهج من سبقه من علماء التفسير[٨]، ولكنه رجح أحدها اعتمادا على اللحاق والمعنى السياقي؛ يقول: "﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ ﴾ ... وقرئ بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومِه، أي علمتُ ما لم يعلمه القوم وفطِنت لما لم

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٢، صـ٢٨٦.
[2] ينظر: ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، صـ٢٤٥.
[3] ينظر: الطبري، **جامع البيان**، ج٨، صـ٥١٦-٥١٧.
[4] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، صـ٦٧٧.
[5] ينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٣، صـ ٥٢١
[6] ينظر: الداني، **التيسير في القراءات السبع**، صـ٨٢.
[7] ينظر: ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد (ت نحو٤١٠هـ)، **حجة القراءات**، ط١، ١م، (تحقيق: سعيد الأفغاني)، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، ١٩٧٤م، صـ٢٢٩.
[8] ينظر مثلاً: الطبري، المصدر نفسه، ج١٦، صـ ١٥١؛ وينظر: الزمخشري، المصدر نفسه، ج٣، صـ٨٥؛ وينظر: أبو حيان، المصدر نفسه، ج٦، صـ٢٥٤.

يفطنوا له أو رأيت ما لم يروه، وهو الأنسب بما سيأتي من قوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴾ لا سيما على القراءة بالخطاب فإن ادعاء علمٍ ما لم يعلمه موسى عليه السلام جرأةٌ عظيمة لا تليق بشأنه ولا بمقامه بخلاف ادعاءِ رؤيةِ ما لم يره عليه السلام فإنها مما يقع بحسب ما يتفق"[1] وهاتان قراءتان متواترتان؛ فقد قرأ حمزة والكسائي بالتاء، والباقون بالياء[2]؛ فعلى الأول يكون الخطاب متوجها من السامري إلى موسى عليه السلام وقومه، وعلى القراءة الثانية يكون المعنى أن السامري علم ما لم يعلم علماء بني إسرائيل[3]؛ لقد أدرك العلامة العمادي هذا الفرق بين القراءتين من حيث المعنى؛ فقدم من القراءتين الأنسب بسياق الآيات؛ فالسياق يتحدث عن الجرم الذي اقترفه السامري، بإضلال بني إسرائيل وصرفهم إلى عبادة العجل، وهذا السياق يتناسب تماما مع القراءة التي تبرز عظم جرأة السامري على سيدنا موسى عليه السلام بادعائه علم ما لم يعلمه رسول ا تعالى؛ وهذا المعنى الموجود في القراءة بالتاء يتناسب مع اللحاق إذ اعترف السامري بأن ما فعله تزيينا من نفسه ﴿ وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ﴾، ولكن بتأمل دقيق للقراءة التي لم يرجحها العمادي؛ نجد أن معناها متلائم تماما والسياق؛ فليس هناك ما يمنع من أن السامري قد بلغ فيه العناد مبلغه؛ فدفعه للتطاول على نبي ا υ.

وعند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ (الجن: ٢٠)؛ جاءت هذه الآية على لسان سيدنا محمد صلى ا عليه وسلم في مقام دعوته الجن إلى الهدى، وهنا يرجح العلامة أبو السعود قراءة﴿ قُلۡ ﴾ على قراءة (قال)؛ يقول: "وقُرِئ (قالَ) على أنه حكايةٌ لقولِه عليهِ الصلاةُ والسلام للمتراكمين عليهِ، والأولُ هو الأظهر والأوفقُ لقولِه تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴾ (الجن: ٢١)"[4]؛ هاتان قراءتان متواترتان[5]، ويلاحظ أن الإمام قد رجح قراءة على قراءة بالنظر إلى لحاق الآية؛ إذ ورد فيه الفعل (قل) على الأمر[6]، وبنظرة تأمل في سباق الآية من أول السورة ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾ (الجن: ١) يظهر جليا أن هذه القراءة التي رأى الإمام العمادي

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٤، صـ٣٠٤.
[2] ينظر: ابن مجاهد، **السبعة في القراءات**، صـ٤٢٤؛ وينظر: الداني، **التيسير في القراءات السبع**، صـ١٢٤.
[3] ينظر: الفارسي، **الحجة للقراء السبعة**، ج٥، صـ٢٤٩؛ وينظر: ابن زنجلة، **حجة القراءات**، صـ٤٦٢.
[4] العمادي، المصدر نفسه، ج٦، صـ٣١٧.
[5] ينظر: الداني، المصدر نفسه، صـ١٢٤.
[6] ينظر: الفارسي، المصدر نفسه، ج٦، صـ٣٣٣؛ وينظر: ابن زنجلة، المصدر نفسه، صـ٧٢٩.

ترجيحها- متناسبةٌ مع سباق الآية أيضاً وليس مع لحاقها فقط؛ وهذا ما جعلها تتميز على القراءة الأخرى في نظره -رحمه ا -؛ ولكن في حقيقة الأمر القراءة الثانية تنطوي على معان بيانية راقية، ولا مسوغ لردها أو ترجيح غيرها عليها؛ فإن "القراءات المتواترة يشهد لتواترها وقرآنيتها إحكام معانيها واتساق نظمها بقطع النظر عن إثارة النحويين وتعقيدات اللغويين"[١].

إذن يلاحظ من هذه الأمثلة وغيرها[٢] مدى اهتمام الإمام العمادي بالقراءات القرآنية؛ إذ يعرض القراءات متى احتاج النص المفسر إلى ذلك؛ مبينا أحيانا اسم من قرأ بها، ويحرص كثيرا على الترجيح بينها معتمدا السياق؛ سيرا على نهج شيخ المفسرين ومن حذى حذوه من العلماء –رحمهم ا جميعا-؛ فتراه يقدم القراءة الأنسب والأكثر تلاؤما مع سباق الآية ولحاقها؛ وهذا ما لا يسلم به؛ فالقراءات القرآنية المتواترة كلها وحي من ا تعالى، أجمعت الأمة على صحتها؛ فإن توصل المفسر لعلة قراءة متواترة في سياق آية ما، ولم يتوصل لعلة القراءة الأخرى فيها؛ فلا يعني هذا عدم وجود حكمة بيانية أو فائدة بلاغية انطوت عليها القراءة الثانية؛ فإن إدراك مكنونات وأسرار كلام ا تبارك وتعالى ليست متاحة إلا لمن فتح ا عليه؛ وا هو الأعلم والأحكم.

---

[1] عباس، **القراءات القرآنية**، صـ٣٢٨.

[2] لمزيد من الأمثلة؛ ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ١٠٥، (البقرة: ٢٨)؛ وينظر: ج٢، صـ٦٩، (آل عمران: ١٧٨)؛ وينظر: ج٢، صـ٣٧٩، (الأنعام: ٣٦)؛ وينظر: ج٣، صـ ٤١٨-٤١٩، (يوسف:٧٦)؛ وينظر: ج٣، صـ٥٠١، (إبراهيم: ٤٦)؛ وينظر: ج٥، صـ٩٤، (النمل: ٥٩)؛ وينظر: ج٥، صـ١٢٤، (القصص: ٣٩)؛ وينظر: ج٦، صـ٣٥٤، (النبأ: ٥).

المطلب الرابع: الترجيح بين وجوه الإعراب

لقد اهتم العرب قديما وحديثا بالكشف عن العلاقة بين السياق والإعراب والمعنى؛ خاصة في الخطاب القرآني؛ فالإعراب لا يكون إلا عن فهم للمعنى؛ لأنه فرع عنه، وقد يظهر للأية القرآنية أكثر من وجه إعرابي تبعا للمعنى، كلها محتملة من جهة العربية، ولكل وجه منها معنى قائم بذاته، ووظيفة المفسر تبيين بين هذه الأوجه بالاستناد على المعاني؛ بحيث يكون المرجع الأول هو السياق، فيحتكم للسياق القرآني في قبول أو رد بعض هذه الأوجه، إذ يجب حمل كتاب ا تعالى على الأوجه الإعرابية اللائقة بالسياق[1].

ولهذا كان السياق القرآني العمدة في الترجيح بين الأوجه الإعرابية في تفسير (إرشاد العقل السليم)؛ ولما تميز به مؤلفه من ملكات بيانية وطاقات لغوية قوية شهد بها القاصي قبل الداني؛ فأصبح جديرا بالتصدي لتفسير كتاب ا تعالى؛ فهو الذي تولى شؤون الفتوى والقضاء في الدولة العثمانية، وهو الأدرى بحكم عمله بأهمية اللغة وإتقان فروعها في إصدار الفتاوى، ورصف النصوص القانونية بعبارات محكمة وجزلة، ومن هذا نماذج كثيرة من تفسيره الجليل:

قول ا تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٦٠)؛ جاءت هذه الآية الكريمة في سياق أمر النبي صلى ا عليه وسلم بتبكيت اليهود وبيان بأن الحقيقَ بالنقم والعيب حقيقةً ما هم عليه من الدين المحرف، وينعى عليهم في ضمن البيان جناياتِهم وما حاق بهم من تبِعاتها وعقوباتِها على منهاج التعريض لئلا يحمِلَهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرةِ والعناد، وهنا يرد العلامة وجها نحويا معتمدا على السياق؛ يقول: "وقد قيل: إن ﴿مَن﴾ مجرور على أنه بدلٌ من شر على أحد الوجهين المذكورين في تقدير المضاف، وأنت خبير بأن ذلك مع اقتضائه إخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة مما لا سبيل إليه قطعاً ضرورةَ أن المقصود الأصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هو كما مر مقدمة سيقت أمام المقصود لهزء المخاطبين وتوجيه أذهانهم نحو تلقي ما يلقى إليهم عقيبها بجملة خبرية موافقةٍ في الكيفية

---

[1] ينظر: الحربي، حسين بن علي، **قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية**، ط١، ٢م، دار القاسم، الرياض، ١٩٩٦م، ج٢، صـ٦٣٥؛ وينظر: سيد، إبراهيم إبراهيم، **أثر السياق في توجيه المعنى في تفسير (التحرير والتنوير) للطاهر ابن عاشور**، ط١، ١م، دار المحدثين، القاهرة، ٢٠٠٨م، صـ٦٥-٦٩؛ وينظر: عبد الفتاح، **نظرية السياق القرآني**، صـ٢٠٧؛ وينظر: المطيري، **السياق وأثره في التفسير**، صـ١٦٤.

للسؤال الناشىء عنها وهو المقصود إفادتُه، وعليه يدور ذلك الإلزام والتبكيتُ حسبما شُرح"[١]؛ رد الإمام العمادي ما ذهب إليه بعض المفسرين[٢] من إعراب الاسم الموصول (من)، بأنه بدل من (شر)؛ وذلك لمسوغات من أهمها وأولها عدم ملاءمة ذلك الوجه لسياق الآيات، فالآيات تتحدث عن إلقام الكافرين الحجر ببيان أن مدار نقمهم للدين إنما هو اشتماله على ما يوجب ارتضاءه عندهم أيضاً وكفرهم بما هو مسلّم لهم، وأن ما عليه من الدين محرف هو الحقيق بالكفر[٣]، وقبول هذا الوجه يستلزم أن يكون معنى الاستفهام في الجملة هو المقصود دون معنى التوبيخ والتقريع؛ وهذا مخل بسياق النظم الكريم، في حين اختار وجها إعرابيا مبينا مدى انسجامه مع سياق النظم الكريم؛ وهذا قوله بتمامه: "وقوله عز وجل: ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ ﴾ خبر لمبتدأ محذوفٍ بتقدير مضافٍ قبله مناسبٍ لما أشير إليه بكلمة ذلك أي: دين من لعنه الخ، أو بتقدير مضافٍ قبلها مناسبٍ لمن، أي بشر مِن أهل ذلك، والجملة على التقديرين استئنافٌ وقع جواباً عن سؤال نشأ من الجملة الاستفهامية إما على حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم، وإما باعتبار التقدير فيها فكأنه قيل: ما الذي هو شر من ذلك؟ فقيل: هو دين من لعنه ا الخ، أو قيل في السؤال: من ذا الذي هو شر من أهل ذلك؟ فقيل: هو من لعنه ا "[٤]؛ هذا أنموذج يجلي مدى العناية التي أولاها الإمام للسياق القرآني في توجيهه الإعرابي للآيات إذن يلاحظ أن العلامة العمادي لم يتردد في رد وجه إعرابي اختاره علماء اللغة والتفسير؛ لعدم ملاءمته السياق القرآني.

ومن الأمثلة التي تبين طريقة الإمام أبي السعود في التعامل مع أوجه الإعراب باعتماد السياق القرآني؛ في قوله تعالى: ﴿ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ (المنافقون: ٤)؛ وردت هذه الآية في سياق الحديث عن المنافقين ودسائسهم ومناوراتهم وما يبدو عليهم من جمال المظهر وفساد الجوهر، وهنا يرد العلامة العمادي وجها إعرابياً؛ لعدم تلاؤمه مع اللحاق؛ يقول: "﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ ﴾ أي هم الكاملون في العداوةِ والراسخون فيها فإن أعدى الأعادِي العدو المكاشر الذي يكاشِرك وتحتَ ضلوعِهِ الداء الدوي، والجملةُ مستأنفةٌ، وجعلُها مفعولاً ثانياً

---

[١] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٢، صـ٢٩٢.

[٢] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، صـ٦٨٥؛ وينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٣، صـ٥٢٩؛ ينظر: العكبري، أبو البقاء عبد ا (ت ٦١٦هـ)، **التبيان في إعراب القرآن يعرض لأهم وجوه القراءات ويعرب جميع آي القرآن**، ط١، ٢م، (تحقيق: علي محمد البجاوي)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٧٦م، ج١، صـ٤٤٨؛ ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج٢، صـ١٣٤.

[٣] ينظر: العمادي، المصدر نفسه، ج٢، صـ٢٩١.

[٤] المصدر نفسه، ج٢، صـ٢٩١-٢٩٢؛ وينظر: القيسي، مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، **مشكل إعراب القرآن**، ط٣، ٢م، (تحقيق د. حاتم صالح الضامن)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م، ج١، صـ٢٣١.

للحسبان مما لا يساعده النظم الكريم أصلاً؛ فإن الفاء في قولِهِ تعالى:﴿ فَٱحۡذَرۡهُمۡ ﴾؛ لترتيبِ الأمرِ بالحذرِ على كونِهِم أعدى الأعداءِ"[١]؛ رد الإمام هنا وجها إعرابياً اختاره الزمخشري[٢] والبيضاوي[٣]، ولكن الإمام أبو حيان قد رد هذا الوجه لكنه لم يبرز أثر السياق في ذلك؛ يقول: "وتخريج ﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ ﴾ على أنه مفعول ثان ليحسبون تخريج متكلف بعيد عن الفصاحة، بل المتبادر إلى الذهن السليم أن يكون ﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ ﴾ إخباراً منه تعالى بأنهم، وإن أظهروا الإسلام وأتباعهم، هم المبالغون في عداوتك؛ ولذلك جاء بعده أمره تعالى إياه بحذرهم فقال:﴿ فَٱحۡذَرۡهُمۡ ﴾، فالأمر بالحذر متسبب عن إخباره بأنهم هم العدو"[٤]، يلاحظ أن الإمام أبو حيان قد رد ذلك الوجه؛ لعدم مناسبته للذوق السليم، ولم يبرز لسياق الآيات أي دور في رد هذا الوجه؛ بعكس ما فعل الإمام العمادي؛ فقد رد هذا الوجه بالنظر إلى سياق الآيات؛ التي تنعى على المنافقين سوء أفعالهم وأخلاقهم وتحذر النبي صلى الله عليه وسلم ومؤمنين من غدر المنافقين، فهذا المعنى يستدعي اختيار وجه إعرابي متناسب معه، ولن يستقيم هذا المعنى الذي ينادي به السياق بغير هذا الوجه.

ومنه عند قول الله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (الجن: ٢٦)؛ جاءت هذه الآية في سياق دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الخلق للحق والهدى، وبيان أن الله وحده المتفرد بعلم الغيب؛ فلا يطلِّع على غيبه؛ إطلاعاً كاملاً ينكشفُ به جليةُ الحال انكشافاً تاماً أحداً من خلقه، وهنا يرد العلامة العمادي وجها إعرابياً؛ بالاعتماد على السياق، مبيناً سير السياق قائلا: "﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ ﴾ بالرفع، قيل: هو بدلٌ من ربي أو عطفُ بيانٍ له ويأباه الفاء في قول تعالى: ﴿ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ إذ يكون النظم حينئذٍ: أم يجعلُ له عالم الغيبِ أمداً فلا يظهر عليهِ أحداً، وفيهِ من الاختلال ما لا يخْفى فهو خبر مبتدأٍ محذوفٍ أي هو عالم الغيبِ"[٥]؛ يظهر جليا استدلال العمادي بالسياق في رد هذا الوجه؛ فهو يؤدي إلى تفكك طرفي السياق وتباعدهما، ومع العلم أن

[١] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٦، صـ٢٥٢.
[٢] ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، صـ٥٤٣.
[٣] ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج٥، صـ٢١٤.
[٤] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٨، صـ٢٦٩.
[٥] العمادي، المصدر نفسه، ج٦، صـ٣١٨.

هذا الوجه الإعرابي قد جوزه الإمام (أبو حيان) النحوي[١]، ولكن (أبو السعود) رد الوجه الإعرابي دون بيان من قال به.

ومما سبق من الأمثلة يلاحظ مدى عناية الإمام العمادي في تفسيره باختيار الأوجه الإعرابية الأكثر تلاؤما وتناغماً مع السياق القرآني، فغالبا ما يعرض الأوجه الإعرابية التي قال بها علماء اللغة والتفسير؛ فيختار منها ويرجح بعضها على بعض استنادا إلى السياق فيزن هذه الأوجه المحتملة للآيات؛ فيقبل ما يناسب السياق، ويرد سواه؛ ولو قال به كبار المفسرين، وليس في هذا تطاول على العلماء –رحمهم ا تعالى- وإنما هي المحافظة على خطاب ا العظيم من أن تعرب كلماته بأوجه تفسد تماسك نظمه، وتشتت طرفي سياقه؛ فلم يقتصر دور العمادي – رحمه ا تعالى- على النقل في مجال الإفادة من آراء النحويين والمعربين، وإنما كان ينقل آراءهم ويحكم السياق فيها[٢]؛ دون ذكر لأسمائهم.

[1] أبو حيان، **البحر المحيط**، ج٨، صـ٣٤٨.

[2] ولمزيد من الأمثلة؛ ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ٥٦-٥٧، (البقرة: ٨)؛ وينظر: ج٢، صـ٤٥٣، (الأنعام: ١٤٣)؛ وينظر: ج٣، صـ٢٤٧، (يونس: ٤٩)؛ وينظر: ج٣، صـ ٢٥٠، (يونس:٥٣)؛ وينظر: ج٥، صـ٢٠٢، (السجدة: ١٢)؛ وينظر: ج٥، صـ٤٤٧، (فصلت: ٤٤)؛ وينظر: ج٦، صـ ٦٠، (الجاثية: ٢١)؛ وينظر: ج٦، صـ٣١٨، (الجن: ٢٦).

المبحث الثالث: أثر السياق القرآني عند أبي السعود في توجيه المتشابه اللفظي

إن ألفاظ وتراكيب القرآن الكريم قد اختيرت بعناية فائقة؛ لتتناسب مع سياقاتها الواردة فيه، وكثيرا ما تتكرر الآيات في القرآن الكريم في القصة الواحدة من قصص القرآن أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة وصور متعددة، وفواصل شتى وأساليب متنوعة؛ حذفا وذكرا، تقديما وتأخيرا، تنكيرا وتعريفا...ونحو ذاك، مع اتفاق المعنى العام؛ لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا من آتاه ا علما وفهما لأسرار كتابه[١]، وهذا ما يسمى بالمتشابه اللفظي، فيكون السياق هو السبب الرئيس لما في هذه الآيات من اختلافات في المبنى، وهو المهيمن على توجيهها.

إن باب المتشابه اللفظي رافد مهم من روافد الإعجاز القرآني، جاء لحكمة بالغة، قد تخفى على من قرأ القرآن الكريم دون تدبر، ولا يدركها إلا اللبيب الفطن، الذي يتدبر هذه الاختلافات ويقف عليها؛ متأملا سياقاتها؛ إذ لا يمكن فهم هذه الاختلافات والحكمة منها إلا من خلال تدبر السياق والوقوف على كل حركة وسكنة فيه[٢].

لقد اعتنى علماؤنا –رحمهم ا تعالى- عنايةً كبيرة بالمتشابه اللفظي، وملاحظة علاقة آياته بالسياقات الواردة فيه؛ إذ كثيراً ما كانوا يربطون الآية بما يجاورها، وينظرون مرارا وتكرارا في السورة؛ لتوجيه المتشابه، وتعليل الإختلاف الموجود بين آيات المتشابه من حيث: الإفراد والجمع، التذكير والتأنيث، التعريف والتنكير، الحذف والذكر، التقديم والتأخير وغيره؛ ومن هؤلاء العلماء الإمام الإسكافي[٣]؛ صاحب كتاب (درة التنزيل وغرة التأويل)، وكذلك الإمام الكرماني[٤]؛ صاحب كتاب (البرهان في متشابه القرآن)، ومنهم الإمام ابن الزبير الغرناطي[5]؛ صاحب كتاب (ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل)، وقد أفاد إمامنا

---

[1]ينظر: الشثري، صالح عبد ا (٢٠٠١م)، **المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية**. رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، صـ٨؛ وينظر: باحويرث، تهاني بنت سالم(٢٠٠٧م)، **أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب**. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، صـ٢٤.

[2] ينظر: باحويرث، **أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي**، صـ٦١، ٥٠٦؛ وينظر: عبد الفتاح، **نظرية السياق القرآني**، صـ١٦٥؛ وينظر: الحنين، فواز بن سعد، **الضبط بالتقعيد للمتشابه اللفظي في القرآن المجيد،** ط٢، ١م، الرياض، ٢٠٠٨م، صـ٨٩.

[3] الإسكافي هو أبو جعفر محمد بن عبد ا البغدادي، كان أديباً ولغوياً معتزلياً، له مصنفات منها: درة التنزيل، شرح الحماسة الطائية، توفي سنة: (٤٢٠هـ) (ينظر: البغدادي، **هدية العارفين**، ج٢، ص،٦٤)

[4] الكرماني هو أبو القاسم محمود بن حمزة ، لقب بتاج القرآء، فقيه أديب، له عدة تصانيف منها: خط المصاحف، البرهان في متشابه القرآن، توفي سنة: (٥٠٥هـ) (ينظر: الكرماني، محمود بن حمزة (توفي نحو٥٠٥هـ)، **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، ١م، (تحقيق: عبد القادر عطا)، دار الفضيلة، القاهرة، صـ١٥-١٨(مقدمة المحقق)).

[5] ابن الزبير الغرناطي هو أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، محدث مؤرخ، من أبناء العرب الداخلين إلى الأندلس، وانتهت إليه رئاسة بها في العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول، من مصنفاته البرهان في ترتيب سور القرآن، توفي سنة: (٧٠٨هـ) (ينظر: ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج٨، صـ٣١).

(أبو السعود) مما خطه يراع هؤلاء وغيرهم في بيان هذا المتشابه؛ معتمدا السياق القرآني ومقاصد السور القرآنية، من خلال ملاحظة الاختلافات اليسيرة بين بعض الآيات التي تحمل المعنى نفسه والمبنى ذاته، إلا في بعض التراكيب والألفاظ، فيحصل فيها الاختلاف؛ ولكن على الرغم من هذه العناية الفائقة؛ إلا أنه كان يغض الطرف عن تعليل كثير من المتشابه اللفظي؛ وفيما يلي أمثلة تبين مدى أثر السياق القرآني عند أبي السعود في تعليله للمتشابه اللفظي من حيث التعريف والتنكير، والحذف والذكر، والتقديم والتأخير:

المطلب الأول: التعريف والتنكير

إن باب التعريف والتنكير يعد من أبواب علوم اللغة، وقد حاز على عناية علماء البلاغة الأوائل، وعلى رأسهم شيخ البلاغة عبد القاهر الجرجاني؛ والذي كانت له وقفات وتأملات حسنة في كتابه (دلائل الإعجاز) من خلال حديثه عن الفروق في الخبر؛ يقول: "ومن فروق الإثبات أنك تقول: زيد منطلقٌ وزيد المنطلقُ والمنطلقُ زيد. فيكون لك في كل واحد من هذه الأحوال غرض خاص، وفائدة لا تكون في الباقي"[1]؛ إذن فالمقام هو الذي يستدعي إيراد التعريف أو التنكير؛ وكلٌ له معنى خاص، لا يكون في الآخر.

والأمر كذلك في القرآن الكريم؛ فإن للتعريف والتنكير تأثراً بالسياق القرآني؛ فما وردت كلمة معرفة بـ(أل) التعريف، أو نكرة إلا واستدعى السياق ورودها على ذلك النحو؛ فعند تفسيره قول ا تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ (إبراهيم: ٣٥)؛ لقد وردت هذه الآية الكريمة في سياق التعجب من حال كفار مكة الذين أنعم ا عليهم بالنعم العامة "وعصوا أباهم إبراهيم عليه السلام؛ حيث أسكنهم بمكة شرفها ا تعالى لإقامة الصلاةِ والاجتنابِ عن عبادة الأصنام والشكر لنعم ا تعالى، وسأل ا تعالى أن يجعله بلداً آمناً ويرزقَهم من الثمرات، وتهوي قلوب الناس إليه من كل أوب سحيقٍ؛ فاستجاب ا تعالى دعاءه وجعله حرماً آمناً تجبى إليه ثمراتُ كل شيء فكفروا بتلك النعم العظامِ واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا أنداداً وفعلوا ما فعلوا"[2]؛ لقد اعتنى الإمام بتوجيه المتشابه اللفظي بين هذه الآية وقول ا تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾(البقرة: ١٢٦)؛ إذ وردت كلمة (بلداً) تارة معرفة بـ(أل) في سورة (إبراهيم)، وأخرى نكرة في سورة (البقرة)؛ يقول أبو السعود عند آية سورة (إبراهيم): "والفرق بينه وبين ما فيها-يعني سورة البقرة- من قوله: ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ أن المسؤولَ هناك البلديةُ والأمن معها، وهاهنا الأمن فقط، حيث جعل هو المفعولَ الثاني للجعل، وجعل البلد صفةً للمفعول الأول، ... واقتُصر ههنا على حكاية سؤال الأمن لا لمجرد أن نعمةَ الأمن أدخلُ في استيجاب الشكر فذِكره أنسب بمقام تقريع الكفرة على إغفاله كما قيل بل لأن سؤال البلدية قد حكي بقوله تعالى:

---

[1] الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، صـ١٧٧.
[2] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٣، صـ٤٩١.

﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ (إبراهيم: ٣٧) إذ المسؤولُ هويتُها إليهم للمساكنة معهم لا للحج فقط وهو عين سؤال البلدية قد حكي بعبارة أخرى وكان ذلك أولَ ما قدِم عليه السلام مكة"[1]؛ إن سورة (إبراهيم) سورة مكية، تناولت أمور تثبيت العقيدة، والحديث عن دعوة الرسل ورسالاتهم، وعند نزولها لم يكن الحج مفروضا على المسلمين بعد، لذلك تركز دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام على الأمن، مع العلم أن سيدنا إبراهيم عليه السلام قد سأل البلدية من خلال السياق، بينما سورة (البقرة) سورة مدنية تناولت أمور الأحكام والقضايا التي تنظم المجتمع وترتقي بأفراده، ومنها أحكام الحج؛ لذلك كانت دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام شاملة للبلدية والأمنية، إن الإمام قد عني ببيان علة هذا التشابه اللفظي في التعريف والتنكير؛ فبينه بالاعتماد على السياق، إذ فرق أولا بين معنى الآيتين؛ فقد سأل سيدنا إبراهيم عليه السلام في آية سورة البقرة البلدية والأمن معاً، أما في آية سورة إبراهيم سأل الأمن فقط؛ لأن سؤال البلدية قد سؤل في لحاق الآية ﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾، وهذا الأنسب بسياق الآية المتحدث عن تقريع الكفرة على كفرهم، رغم النعم التي أنعم بها عليهم، إذ أسكنهم في مكة المكرمة؛ لإقامة شرع ا تعالى، وتوحيده واجتناب عبادة الأصنام؛ فكفروا بأنعم ا ؛ قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ ﴾ (إبراهيم: ٢٨).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الإمام العمادي قد أفاد ممن سبقه من العلماء[2] في توجيه المتشابه اللفظي في هذه الآيات الكريمة.

يلاحظ بشكل جلي اعتماد أبي السعود العمادي على السياق القرآني في تعليل المتشابه اللفظي من حيث التعريف والتنكير؛ وعلى الرغم من كونه مقلاً في هذا الجانب إلا أنه اهتم بتوجيه هذا المتشابه، فأبرز بذلك جانبا مهما من جوانب أثر السياق القرآني في تعليل المتشابه اللفظي.

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٣، صـ٤٩٢.

[2] ينظر: الإسكافي، أبو عبد ا محمد (ت ٤٢٠هـ)، **درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب ا العزيز**، ط ١، ١م، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣م، صـ٢٩-٣٠؛ وينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج٢، صـ٥٢٣؛ وينظر: الكرماني، **البرهان**، صـ٧٨-٧٩؛ وينظر: الغرناطي، أحمد بن الزبير(ت ٧٠٨هـ)، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، ط١، ٢م، (تحقيق: سعيد الفلاح)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ج١، صـ٢٣٤-٢٣٥؛ وينظر: أبو حيان، **البحر المحيط**، ج١، صـ٥٥٤.

المطلب الثاني: الحذف والذكر

إن أسلوب الحذف –بشكل عام- هو الأكثر ورودا في القرآن الكريم؛ لما فيه من بلاغة قد لا توجد في الذكر، وقد قرر الرماني والخطابي أن الحذف أبلغُ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب[١]؛ وهذا ما وعاه الإمام العمادي وأدرك أسراره؛ لذلك عني ببيان المحذوف في آيات المتشابه؛ بالاعتماد على السياق القرآني العام؛ ومن الأمثلة التطبيقية على ذلك ما يلي:

عند تفسير قول ا تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (الحجر: ٢٨) علل الإمام بصورة خاطفة وموجزة؛ لكنها مفهمة- علة وصف سيدنا آدم عليه السلام هنا بأنه بشر مخلوق من صلصال –وهو الطين اليابس- من حمأ مسنون –وهو الطين الذي اسود لونه، والمسنون المصور-، وحذف هذه الصفات في آيات سورة (ص): ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ (ص: ٧١)؛ مع أن كل آية من هاتين الآيتين الكريمتين جاءت في سياق عرض قصة خلافة سيدنا آدم عليه السلام ؛ فالقصة ذاتها والمقام هو ذات المقام، وهنا يبين العلامة علة هذا الاختلاف؛ فيقول: "ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة (ص) من قوله:﴿ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ فإن عدم التعرض عند الحكاية لوصف الطين من التغير والاسوداد ولما ورد عليه من آثار التكوين، لا يستلزم عدم التعرض لذلك عند وقوع المحكي، غايته أنه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح ههنا"[٢]، يعول الإمام هنا على ما ذكر في سياق القصة القرآني؛ فما ذُكر هنا أكتفي بذكره، وحذف ذِكره هناك؛ يقول في تفسيره آية سورة (ص): "﴿ مِّن طِينٍ ﴾ لم يتعرض لأوصافِه من التغير والاسودادِ والمسنونيةِ اكتفاء بما ذُكر في مواقع ُأخر"[٣]؛ ينظر العلامة العمادي إلى القصة القرآنية على أنها وحدة متماسكة تمتد في القرآن الكريم، وسياقها واحد، وتكمل أطرافها بعضها بعضا؛ فما حذف هنا اكتُفي بذكره هناك؛ وكثيرا ما كان يقول: "وقد حكي بعض الأمور في بعض المواطن، وبعضها في بعضِها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر"[٤].

---

[١] ينظر: الرماني، **النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، صـ٩٧؛ وينظر: الخطابي، **بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، صـ٤٧.

[2] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٤، صـ١٧.

[3] العمادي، المصدر نفسه، ج٥، صـ٣٧٢.

[4] العمادي، المصدر نفسه، ج١، صـ١١٩.

يلاحظ أن الإمام لم يشر إلى أثر سياق كل من السورتين في هذا الحذف والذكر، بل ركز على **سياق القصة العام**، وعلل ما ورد من حذف وذكر بالاستناد إلى ما ذكر في المواضع الأخرى من القصة ذاتها.

ومثاله أيضاً قول ا تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات: ٣٥)؛ وردت هذه الآية في سياق الرد على الخراصين الذين زعموا أن النبي صلى ا عليه وسلم تارة ساحر، وتارة شاعر، وأخرى مجنون؛ فجاءت الآيات لترد عليهم؛ وتقص قصص الأنبياء قبله عليهم السلام؛ التي لم يتعلمها إلا بطريق الوحي[1]، فكانت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام من ضمنها؛ وهنا يعلل العمادي عدم ذكر طرف من الحوار بين سيدنا إبراهيم عليه السلام والملائكة الذين جاءوا لينذروا قوم لوط عليه السلام ؛ بالاعتماد على سياق القصة القرآنية؛ يقول: "وقولُه تعالى: ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾ الخ حكايةٌ من جهته تعالى لِما جرى على قومِ لُوطٍ عليهِ السلام بطريق الإجمال بعد حكايةِ ما جرى بين الملائكةِ وبين إبراهيم عليهِ السلام من الكلامِ، والفاء فصيحةٌ مفصحةٌ عن جملٍ قد حذفتْ ثقةً بذكرِها في مواضع أُخر كأنه قيلَ: فباشروا ما أُمروا بهِ فأخرجنَا بقولِنا فأسر بأهلِك"[2]؛ إن الجملة التي حذفت في هذه الآية، تكشف عنها الآيات الكريمة الواردة في سياق هذه القصة؛ ففي سورة هود يقول تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ (هود: ٨١)، وأيضا في سورة الحجر قول ا تعالى: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ (الحجر: ٦٥)؛ إذن فتعليل أبي السعود هنا لهذا الحذف والذكر في هذا المتشابه اللفظي إنما اعتمد سياق القصة القرآنية في القرآن كله؛ فما حذف في موضع ذكر في آخر.

وهذا عليه أمثلة كثيرة[3]، يظهر من استقرائها اهتمام العلامة العمادي الواضح بالمتشابه اللفظي من حيث الحذف والذكر؛ فكثيرا ما كان يشير إلى الآيات المتشابهة، ويجتهد في التوصل إلى علة ما بينها من اختلاف، وكان يعلل ذلك المتشابه بالاعتماد على سياق الآيات العام الممتد في القرآن الكريم؛ فيتأمله، وينظر إليه على أنه وحدة واحدة؛ فما طوي ذكره في موضع؛ بسط في موضع آخر.

---

[1] ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٦، ص١٣٦

[2] العمادي، المصدر نفسه، ج٦، ص١٣٨.

[3] لمزيد من الأمثلة؛ ينظر: العمادي، المصدر نفسه، ج٢، ص٤٨٠، (الأعراف: ١٢)؛ وينظر: ج٢، ص٥٠٥، (الأعراف: ٦٥)؛ وينظر:ج٤، ص٢٥، (الحجر: ٥٦)؛ وينظر: ج٥، ص٣٧٤، (ص: ٨٠).

المطلب الثالث: التقديم والتأخير

وكما كانت للعلامة أبي السعود عناية بتعليل المتشابه اللفظي من حيث الحذف والذكر؛ كانت له عناية كبيرة بتعليله من حيث التقديم والتأخير؛ وفيما يلي أمثلة تطبيقية على ذلك:

عند تفسير قول ا تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٤) يعلل اختلاف النظم تقديماً وتأخيراً مع قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ (الحجر: ٥)؛ ففي سورة الأعراف قدم الاستئخار، وفي سورة الحجر أخّره؛ وهذا ما دعى الإمام للنظر في سياق كل من الآيتين؛ يقول: "وتقديم بيان انتفاءِ الاستئخار لما أن المقصود بالذات بيان عدمِ خلاصِهم من العذاب، وأما ما في قوله تعالى: ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ من سبق السبق في الذكر فِلما أن المراد هناك بيان تأخير إهلاكِهم مع استحقاقهم له حسبما ينبىء عنه قولُه تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الحجر:٣) فالأهم هناك بيان انتفاءِ السبق"[1]؛ يفرق الإمام هنا بين سياق السورتين؛ فسياق آية سورة الأعراف فيه حديث عن الأمور التي حرمها ا تعالى وتهكم بالمشركين الذين يحرمون ما أحل ا تعالى بغير دليل؛ قال ا تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٢-٣٣) ثم بيان أن لكل أمة أجلا مضروباً لمهلكها لن تتأخر عنه بالإمهال، ولن تتقدم بالتعجيل، وعلى أي حال لن يتخلّصوا منه ولن يهربوا؛ وهذا السياق يستدعي تقدم الاستئخار؛ فليس في طياته ما يشير إلى معنى الإمهال وإطلاق العنان، في حين أن سباق آية الحجر فيه حديث عن الإمهال، وعدم استعجال العذاب لمستحقيه؛ فالسياق ينبئ عن بيان انتفاء استعجال العذاب لهم؛ مما استدعى تقدم نفي الاستقدام؛ وهذا ما بينه العلامة العمادي، وتبعه فيه العلامة الآلوسي[2].

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٢، صـ ٤٩٠.
[2] الآلوسي، **روح المعاني**، ج٨، صـ ١١٤.

يلاحظ مما سبق أن الإمام قد ارتكز على السياق القرآني في الكشف عن سبب الاختلاف في التقديم والتأخير في هاتين الآيتين؛ إذ إنه تأمل سياق كل منهما؛ وعرض للحكمة الكامنة خلف هذا الاختلاف.

ومن هذه الأمثلة عند قول ا تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (يونس: ٤٩) إذ يبين العلامة العمادي سبب اختلاف النظم بين هذه الآية وبين قوله تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ (الأعراف: ١٨٨)؛ ففي الآية الأولى تقدم ذكر الضر على ذكر النفع، بينما في الآية الثانية تقدم النفع على الضر؛ يقول الإمام: "وتقديم الضر لِما أن مساقَ النظمِ لإظهار العجز عنه، وأما ذكر النفعِ فلتوسيع الدائرةِ تكملةً للعجز، وما وقع في سورة الأعرافِ من تقديم النفعِ للإشعار بأهميته والمقام مقامه، والمعنى إني لا أملك شيئاً من شؤوني رداً وإيراداً مع أن ذلك أقرب حصولاً فكيف أملك شؤونَكم حتى أتسبب في إتيان عذابِكم الموعودِ"[١]، لقد علل الإمام هذا الاختلاف بين الآيتين بالاعتماد على السياق؛ فسياق سورة الأعراف يتحدث عن الكفار حين سألوا النبي صلى ا عليه وسلم عن الساعة وموعدها؛ فأمر ا تعالى أن يرد عليهم صلى ا عليه وسلم بنفي معرفته الغيب وقدرته على جلب النفع أو دفع الضر؛ يقول تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٧)، إذن يستدعى هذا السياق تقديم النفع على الضر؛ لأن المقام مقام تحذير للكفار ليرتدعوا عن كفرهم، وعن اعتقادهم أن النبي صلى ا عليه وسلم من شأنه معرفة الغيوب، فتقديم النفع هنا أليق بهذا المقام؛ فإذا لم يتمكن النبي صلى ا عليه وسلم من جلب النفع لذات نفسه؛ فمن باب أولى أنه لا يمكنه دفع عذاب الساعة عن الكفار حين تبهتهم فجأة، وبهذا التعليل وافق الإمام العمادي العلماء الذين اهتموا بتعليل المتشابه في القرآن الكريم[٢].

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٣، ص ٢٤٧.

[2] ينظر: الإسكافي، **درة التنزيل وغرة التأويل**، ص ١٣٧-١٣٨؛ وينظر: الغرناطي، **ملاك التأويل**، ج١، ص ٥٧٧.

أما السياق في سورة يونس ففيه حديث عن الكفار حين طلبوا تعجيل نزول العذاب بهم؛ استهانة وتكذيبا، جاهلين ما في طلبهم من محنة ومضرة لهم؛ يقول تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (يونس: ٤٨)؛ فأمر ا تعالى النبي صلى ا عليه وسلم أن يعلن العجز عن دفع الضر أو جلب النفع؛ إذن تقدم الضر كان بناء على استعجالهم العذاب والضرر[1]، يلاحظ جليا أن الإمام قد أوجز هنا في بيانه، في حين أن غيره من العلماء قد بسطوا الحديث عن سباق الآية ولحاقها؛ وبينوا ما في طرفي السياق من مسوغات لتقديم الضر على النفع؛ فسباق الآية يتحدث عن استعجال الكفار للعذاب ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾، وتقدم عليها قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾ (يونس: ١٨)، ولأن أكثر ما جاء في اقتران لفظي الضر والنفع، جاء بتقديم الضر؛ لأن العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه، ثم طمعا في ثوابه، وهذا مما سوغ تقديم الضر[2].

ومن هذه الأمثلة عند تفسيره قول ا تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون: ٥٠)؛ إذ تقدم في هذه الآية ذكر سيدنا عيسى عليه السلام ، بينما تأخر ذكره عن ذكرها في قول ا تعالى: "﴿ وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٩١)؛ يقول الإمام: "وتقديمه عليه الصلاةُ والسلام لأصالتِه فيما ذُكر من كونِه آيةً كما أن تقديم أمه في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ لأصالتِها فيما نُسب إليها من الإحسان والنفخ"[3]، يلاحظ هنا أن الإمام قد علل هذا التقديم والتأخير بين الآيتين بالاعتماد على سياق كل منهما، ببيان الفرق بينهما؛ ففي سياق آية سورة الأنبياء كان تسليط للضوء على السيدة مريم، ومدحها لاتصافها بالخصال الحميدة ولمبادرتها في وجوه الخيرات مع ثباتها واستقرارها على الحق، كما كان من قبلها مِن الأنبياء عليهم السلام؛ إبراهيم ولوط وزكريا وغيرهم؛ إذ تحدثت عنهم السورة بدء من قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ

[1] ينظر: الغرناطي، **ملاك التأويل**، ج١، ص٥٧٨.

[2] ينظر: الإسكافي، **درة التنزيل**، ص١٣٨؛ وينظر: الكرماني، **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، ص١٣٠؛ وينظر: الغرناطي، **ملاك التأويل**، ج١، ص٥٧٨.

[3] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٤، ص٤١٧.

ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأنبياء: ٤٨) إلى قوله تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ (الأنبياء: ٨٩-٩٠)؛ وأما في سورة المؤمنون فالأمر مختلف؛ إذ السياق يتحدث عن الرسل ويبين إمهال ا تعالى للأمم السابقة وتركهم النظر والاعتبار فيما عدد من النعم الفائتة للحصر؛ بدء من قول ا عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (المؤمنون: ٢٣)، إلى قوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ (المؤمنون: ٤٩-٥٠)؛ فاستُفتِح بقصة سيدنا نوح عليه السلام وختم بقصة سيدنا عيسى عليه السلام .

ولم تقف الباحثة على من علل من العلماء هذا التشابه في التقديم والتأخير سوى العلامة العمادي.

يلاحظ مما عرض من نماذج وغيرها من تفسير أبي السعود[1]؛ أن العلامة قد اعتنى ببيان المتشابه اللفظي من حيث التقديم والتأخير، فقد اجتهد واعتمد على السياق في التعليل؛ وهذا فيه دليل على نبوغ هذا العلامة الجليل وإتقانه لفهم مرامي السياق القرآني، في الوقت الذي كان يمر فيه على بعض آيات هذا المتشابه اللفظي دون أن يعلله؛ فمثلا في قول ا تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٣) لم يعلل المتشابه بين هذه الآية[2]، وقوله تعالى: ﴿ ...وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (يونس:٦١) إذ تقدم ذكر السموات على ذكر الأرض في الأولى وتأخر في الثانية.

---

[1] لمزيد من الأمثلة؛ ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج٣، صـ٢٨٥، (هود: 5)؛ وينظر: ج٤، صـ٤، (الحجر: ١)؛ وينظر: ج٤، صـ٤٧٨ ، (النور: 55)؛ وينظر: ج٥، صـ٦٨، (النمل: ١).
[2] ينظر: العمادي، المصدر نفسه، ج٥، صـ٢٤٦.

إذن فالإمام العمادي وإن كان قليل الحديث عن بيان المتشابه اللفظي من حيث التقديم والتأخير؛ فإنه يهتم في إبراز تماسك النظم الكريم، لاعتماده على السياق القرآني.

المطلب الرابع: تعليل التكرار اللفظي

قد ترد بعض الآيات والجمل في القرآن الكريم مرارا خلال السور؛ وهذا التكرار لا يمكن أن نعده اعتباطيا؛ لأن هذا القرآن كتاب إلهي نزل لهداية البشرية، فلا بد أن كل كلمة أو جملة وردت فيه؛ وردت لتحقيق هدف وللوصول إلى غاية[١].

والتكرار في طبيعته نوعان؛ يقول الإمام الخطابي –رحمه ا تعالى-: "فإن تكرار الكلام على ضربين: أحدهما مذموم وهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول؛ لأنه حينئذ يكون فضلا من القول ولغوا. وليس في القرآن شيء من هذا النوع. والضرب الآخر ما كان بخلاف هذه الصفة، فإن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه، وتدعو الحاجة إليه فيه، بإزاء تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار، وإنما يحتاج إليه ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها، ويخاف بتركه وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها"[٢]؛ إذن فالتكرار كما يراه الإمام الخطابي إما أن يكون:

١. محمودا؛ وهو ما تدعو إليه الحاجة، وما يزيد فائدة جديدة على ما قيل؛ فهو بالمحصلة تكرار لفظي.
٢. مذموما؛ وهو ما لم تدع إليه الحاجة، وخلا من الإفادة، وهو ما يتنزه عنه القرآن الكريم[٣].

وهذا ما حرص عليه الإمام في تفسيره؛ إذ علل تكرار بعض الآيات بالاعتماد على السياق الذي وجدت فيه؛ وفيما يلي أمثلة تطبيقية على ذلك:

ففي قوله تعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٣٨)؛ جاءت هذه الآية الكريمة في سياق قصة خروج سيدنا آدم عليه السلام من الجنة بسبب وساوس إبليس، يعلل العمادي سبب ورود الأمر بالهبوط في قصة سيدنا آدم عليه السلام مرة أخرى في ذات السياق؛ يقول تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ

---

[1] ينظر: قطب، محمد(ت ٢٠٠٤م)، **دراسات قرآنية**، ط٨، ١م، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤م، صـ٢٥٣.
[2] الخطابي، **بيان إعجاز القرآن**، صـ٤٧-٤٨؛ وينظر: عباس، فضل حسن، **قصص القرآن الكريم**، ط٢، ١م، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٧م، صـ٦٨.
[3] عباس، فضل حسن(١٩٨٧م)، **قضية التكرار في كتاب ا** . مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية –الكويت، العدد(٧):صـ٥؛ ولا يرى فضيلة الأستاذ الدكتور فضل عباس أن هناك تكرارا في القرآن الكريم؛ لأن كل ما ذكر في كتاب ا تعالى أكثر من مرة؛ كان له في كل ورود سياقه الخاص ومعناه الخاص؛ وهذا لا يسمى تكرارا ألبتة؛ وهذا هو الصواب –وا أعلم-.

﴿ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (البقرة: ٣٦)؛ يقول: "﴿ قُلْنَا ﴾ استئناف مبني على سؤال ينسحب عليه الكلام، كأنه قيل: فماذا وقع بعد قبول توبته؟ فقيل: قلنا: ﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ كُرر الأمر بالهبوط؛ إيذاناً بتحتم مقتضاه وتحققه لا محالة، ودفعاً لما عسى يقع في أمنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبةِ للعفو عن ذلك، وإظهاراً لنوع رأفةٍ به عليه السلام ؛ لما بين الأمرين من الفرق النير، كيف لا والأولُ مشوب بضرب سخطٍ مذيلٍ ببيان أن مهبطهم دار بليةٍ وتعادٍ لا يخلدون فيها، والثاني مقرون بوعد إيتاء الهدى المؤدي إلى النجاة والنجاح، وأما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصداً أولياً، بل إنما هو دائر على سوء اختيار المكلفين"[1].

ولقد لوح الإمام البيضاوي –رحمه الله تعالى- بمثل هذا المعنى؛ ولا شك أن العمادي قد أفاد منه؛ يقول البيضاوي: "كرر للتأكيد، أو لاختلاف المقصود فإن الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون، والثاني أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف، فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك..."[2]؛ هذا بيان لمعنى الهبوطين، وليس بياناً للفرق بين السياقين.

إذن يظهر أن العلامة العمادي قد بين هنا الفرق بين السياقين؛ فالأمر الأول بالهبوط جاء في سياق الغضب؛ إذ أُبرز فيه جانب كون الأرض مكان امتحان وابتلاء، بينما سياق الأمر الثاني جاء بعد قبول الله تعالى توبةَ سيدنا آدم عليه السلام ؛ يلاحظ جليا اعتماد الإمام على السياق في تعليل التكرار اللفظي في هذه الآيات القرآنية.

ومن الأمثلة على ذلك أيضا في قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر: ١٧) بين الإمام علة تكرار هذه الآية في سورة القمر ست مرات ؛ معتمدا في ذلك على سياق الآيات؛ يقول: "﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ الخ جملةٌ قسميةٌ وردتْ في أواخر القصص الأربع تقريراً لمضمون ما سبقَ من قولِه تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ (القمر: ٤-٥) وتنبيهاً على أن كل قصةٍ منها مستقلةٌ بإيجابِ الإدكار كافيةٌ في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدةٌ في حيز الاعتبار، أي وبالله لقد سهلّنا القرآن لقومِك بأن أنزلناه على لغتِهم وشحناه بأنواعِ المواعظِ والعبر وصرفنا فيهِ من الوعيدِ والوعدِ"[3]؛ لقد جاءت هذه الآية

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ١٢٣.
[2] البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج١، صـ٧٣.
[3] العمادي، المصدر نفسه، ج٦، صـ١٦٨.

لتؤكد معنى السباق الذي يبين تعاظم الكفار على هدي ا تعالى الذي جاء به النبي ρ، ولتوحي باستقلال كل قصة عن أختها، وأن لكل شخصيتها التي يحدثُ بها التقريع وتؤخذ منها العظة والعبرة؛ فليس تكرارها على هذا النحو في هذه السورة الكريمة- تكرارا عبثياً؛ وإنما هو لغاية وحكمة، وهذا يؤيد ما قرره الأستاذ الدكتور فضل عباس من أن التكرار هو إعادة اللفظ نفسه أو الكلام نفسه في السياق نفسه[١]؛ وهذا ليس في القرآن منه شيء –و الحمد-.

لقد لفت هذا التكرار انتباه المفسرين وكان للزمخشري -رحمه ا تعالى-إشارة لطيفة في تعليل هذا التكرار؛ يقول: "فإن قلت: ما فائدة تكرير قوله: ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٣٩ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؟ قلت: فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبإ من أنباء الأولين ادكاراً واتعاظاً، وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، يقعقع لهم الشن تارات؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي عليهم الغفلة، وهكذا حكم التكرير، كقوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن: ١٣)عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن، وقوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ (المرسلات: ١٥) عند كل آية أوردها في سورة والمرسلات، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب، مصورة للأذهان، مذكورة غير منسية في كل أوان"[٢]، يرى أن هذا التكرار بمثابة إعادة الاستثارة والتنبيه؛ لينصاع الكفار لأوامر ا تعالى، إذن يستلزمه حال الكفرة.

ومن هذه الأمثلة في تفسيره سورة الرحمن؛ كان في كل مرة يرد فيها قول ا تعالى: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ يفسره بما يتناسب مع سياق الآيات الذي ورد فيها، لتعدد المتعلق؛ يقول: "﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى (للأنام)، وسينطقُ به قولُه تعالى (أيها الثقلان)، والفاء لترتيبِ الإنكارِ والتوبيخ على ما فُصلَ من فنون النعماءِ وصنوفِ الآلاءِ الموجبةِ للإيمان والشكرِ حتماً"[٣]، يفهم من هذه العبارة أن تكرر هذه الآية الكريمة مرارا إنما جاء لتلبية ما يستدعيه سياق السورة؛ إذ عدد فيها ما أفاض ا تعالى على الأنام من فنون النعم الدنيوية والأخروية، الأنفسية والآفاقية، وأنكر عليهم إثر كل فن منها إخلالهم بمواجب

---

[1] ينظر: عباس، **قضية التكرار**، ص_٦.
[2] الزمخشري، **الكشاف**، ج٤، ص_٤٣٩.
[3] العمادي، المصدر نفسه، ج٦، ص_١٧٦.

شكرها[1]؛ فصبغت هذه الآية الكريمة في كل مرة تذكر فيها بمعنى جديد مختلف ينسجم مع سباقها ولحاقها.

ومن الجدير بالذكر أن العلامة العمادي قد أفاد كثيرا في تفسير هذه الآية بسياقاتها المختلفة التي وردت فيها- من الإمام البيضاوي، فللقارئ في تفسير(إرشاد العقل السليم) أن يشعر بنَفَس البيضاوي ينبعث من ثناياه؛ ولا عجب في ذلك؛ فهذا التفسير قد جاء حصيلة تأمل وتدبر في تفسيري العلامتين الزمخشري والبيضاوي –رحمهما ا -.

ومن هذه الأمثلة التي وقفت عليها الباحثة يلاحظ ما أولاه العلامة العمادي من عناية بتعليل تكرار **بعض** آيات وجمل القرآن الكريم؛ بالاعتماد على السياق القرآني؛ إذ يقوم ببيان كل سياق يحف بالآية المكررة، ويبين أثر معناه في ذلك التكرار.

للمطلع على تفسير أبي السعود أن يدرك أبعاد النظرة التي ينظر بها مؤلفه إلى الخطاب القرآني؛ فهو ينظر إليه على أنه وحدة واحدة متماسكة البناء، كل لفظ أو تركيب جاء فيها إنما نال مكانه الأليق به، والذي لا يزاحمه عليه سواه.

---

[1] ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم،** ج٦، صـ١٧٤.

المبحث الرابع: القيمة العلمية لتطبيقات أبي السعود في مراعاته للسياق القرآني في تفسيره

إن القيمة العلمية لأي مصنف من المصنفات تظهر من خلال عدة معايير ذكرها الدكتور (مصطفى المشني) وهي:

- أولاً: "شهادة المؤرخين وأصحاب التراجم لصاحب المؤلف بالتقدم في فنه الذي سطع نجمه فيه وتألق، وإدراج ترجمة حياته في سجلات العلماء الخالدين؛ الذين يشكلون معالم في مختلف جوانب المعرفة"[١]؛ وهذا ما حظي به العلامة العمادي، فقد نال ثناء العلماء أمثال الإمام علي بن بالي، والإمام البوريني، والإمام العيدروس –رحمهم ا تعالى- وغيرهم[٢].
- ثانياً: "الثروة العلمية التي قدمها المؤلف أو المصنف من خلال مؤلفاته ومصنفاته المختلفة وتؤدي دورها ووظيفتها في بناء صرح العلم والمعرفة"[٣]، وذلك من خلال مصنفاته وتلاميذه الذين أخذوا عنه ودونوا وترجموا لحياته وسيرته العلمية، فقد اعترف القاصي والداني بأثر هذا العلامة الفذّ على العلم وطلبته.
- ثالثاً: "مدى التفاعل والتأثير الذي يحدثه المؤلف أو صاحب المصنّف في نفوس طلبة العلم والعلماء؛ وذلك عبر قنوات المادة العلمية والفكرية التي تضمنتها مؤلفه والتي تعيش مع الحياة وتتجدد مع الواقع، فتكون بلسما للقضايا ومستجدات الحياة واستجابة لمتطلبات ومقتضيات الأمور وبالتالي يغدو ذلك المصنف مصدرا معتمدا يرجع إليه في مسائل العلم والمعرفة"[٤]؛ وليس هذا مقام ذكر أخبار العلماء الذين تأثروا بالعلامة العمادي؛ ونكتفي بذكر الإمام الآلوسي الذي استند إلى تفسير العلامة أبي السعود في تأليف تفسيره الموسوعي الموسوم بـ(روح المعاني)؛ فكانت للإمام أبي السعود أنفاس شائعة في جنبات تفسيره.
- رابعاً: "اهتمام العلماء وطلاب العلم بالدراسة التحليلية للمؤلف ومصنفاته؛ للتعرف على جوانب شخصيته العلمية، وأسلوبه ومنهجه ومواهبه واتجاهاته ومواهبه وأخلاقه؛ ليكون قدوة وأسوة يتأسى ويقتدى بها، وقاعدة راسخة يمكن النهوض على أساسها في مجال

---

[1] المشني، مصطفى إبراهيم، **ابن العربي المالكي وتفسيره أحكام القرآن**، ط١، ١م، دار عمار، عمان، ١٩٩١م، صـ٣٨٧.

[2] وهذا ما سبق بيانه في الفصل الأول من هذه الدراسة في سياق الحديث عن حياة أبي السعود العلمية والعملية.

[3] المشني، المرجع نفسه، صـ٣٨٧.

[4] المشني، المرجع نفسه، صـ٣٨٧.

العلم والمعرفة والثقافة والفكر"[١]، وهذه الدراسة جاءت في محاولة للتعرف على شخصية العلامة العمادي العلمية، طريقته وتحليلها في القضايا المتعلقة بالسياق القرآني، وهي تعد ترجمة حقيقية وبرهانا واضحا على مدى انطباق هذا المعيار على تفسير أبي السعود.

يتجلى مما سبق أن تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم) قد حظي بقيمة علمية كبيرة، وأصبح في مقدمة التفاسير التي لا يستغني عنها عالم ولا طالب علم في كل عصر ومصر، وتجدر الإشارة هنا إلى أنه مما يزيد قيمة هذا السفر رفعة؛ انضباطه بضوابط السياق التي نص عليها العلماء، والتي لا يصح تجاوزها أو تجاهلها بأي حال من الأحوال؛ لأنها تعد من الأصول الأساسية لعلم التفسير، وهي تضعنا أمام معايير حقيقية للأخذ بالسياق القرآني، لذا اجتهدت الباحثة وقامت بعرض نماذج من تفسيره؛ تبين مراعاته لهذه الضوابط، واستناده عليها في إبراز أثر السياق القرآني؛ وهي كما يأتي:

١- **التفسير بالمأثور**؛ وهذا أهم الضوابط التي يجب مراعاتها عند محاولة إدراك السياق وفهمه، وهو ما لا مجال للاجتهاد فيه؛ وهو يصدق على ما رفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو كان له حكم المرفوع[٢]، وكذلك يدخل فيه القراءات القرآنية المتواترة، والتفسيرات اللغوية؛ وفهو خير من فهم القرآن الكريم من البشر، وعلّم صحابته الكرام منهج إدراك معناه وكيفية العمل به؛ فلا يتصور بأي شكل من الأشكال جواز مخالفة السياق القرآني للمأثور، ومن النماذج على التزام الإمام العمادي بهذا الضابط، ما جاء عند قول الله عز وجل : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٧٢)؛ هذه الآية الكريمة جاءت في سياق الحوار بين سيدنا موسى عليه السلام والعبد الصالح؛ الذي تبعه عليه السلام ؛ ليتعلم منه؛ وهنا استشهد العلامة العمادي بحديث صحيح يبين أن سؤال سيدنا موسى عليه السلام للعبد الصالح في الأولى كان نسيانا منه، إذ استند –رحمه الله تعالى- على هذا الحديث؛ ليبين السياق في قول الله عز وجل : ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٧٢)، يقول: "﴿ قَالَ ﴾ أي الخضِر عليه السلام: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ تذكير لما قاله من قبلُ، وتحقيقٌ لمضمونه متضمن للإنكار على عدم الوفاء بوعده ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ (الكهف: ٧٣) بنسياني أو بالذي نسِيتُه أي بشيء

---

[١] المشني، **ابن العربي المالكي وتفسيره أحكام القرآن**، ص ـ ٣٨٧.
[٢] ينظر: عباس، **التفسير أساسياته واتجاهاته**، ص ـ ٢٠٧.

نسيتُه وهو وصيتُه بأن لا يسأله عن حكمة ما صدر عنه من الأفعال الخفيةِ الأسبابِ قبلَ بيانه، أراد أنه نسِي وصيته ولا مؤاخذةَ على الناسي، كما ورد في صحيح البخاري[1] من أن الأولَ كان من موسى نسياناً، أو أَخْرَج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنه قد نسِي؛ ليبسطَ عذره في الإنكار، وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل إلى الغرض، أو أراد بالنسيان الترك أي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك أول مرة"[2]، الشاهد هنا استعانة الإمام في بيان سياق الآيات بالحديث الصحيح.

٢- **اللغة العربية**؛ فهذا القرآن قد نزل ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء: ١٩٥)، لذلك ارتبط بيانه وفهمه بمعرفة لغته وأصولها، "وليس لغير العالم بحقائق اللغة ومفهوماتها تفسير شيء من كتاب ا العزيز"[3]؛ لأن الاطلاع الواسع على علوم اللغة يكفل ضبط المقصود من السياق، وهو الذي يعين على تحديد المعنى المراد دون سواه من المعاني، أما المعرفة السطحية لعلوم اللغة؛ فمن شأنها أن توقع المفسر بالخبط والزلل[4]، لهذا كان العلم باللغة العربية ووجوهها، من أهم شروط المفسر[5]، ولقد استند الإمام العمادي على أصول اللغة العربية وعلومها في تبيانه للسياق؛ وإنما هذا لسعة معرفته بلسان العرب وتمكنه من علومه؛ ومن الأمثلة على ذلك ما أورده في بيان المعنى السياقي عند قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ﴾ (البقرة: ١١٤)؛ جاءت هذه الآية الكريمة في سياق تعداد جرائم اليهود وفضائحهم؛ يقول أبو السعود في تفسير هذه الآية: "إنكار واستبعاد لأن يكون أحد أظلم ممن فعل ذلك أو مساوياً له، وإن لم يكن سبك التركيب متعرضاً لإنكار المساواة، ونفيها يشهد به العرفُ الفاشِي والاستعمالُ المطّرد؛ فإذا قيل: من أكرم من فلان؟ أو لا أفضلَ من فلان، فالمراد به حتماً أنه أكرم من كل كريم، وأفضلُ من كل فاضل، وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك في أي مسجد كان وإن كان سبب النزول فعلُ

---

[1] وهو حديث طويل ينص على أن سؤال موسىυ في أول مرة كان نسيانا؛ ينظر: البخاري، **الجامع الصحيح على فتح الباري**، كتاب العلم، باب: ما يستحب للعالم إذا سؤل أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى ا ، رقم الحديث: ١٢٢، ج١، صـ٣١٩؛ وينظر: المصدر نفسه: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، رقم الحديث: ٣٤٠١، ج٦، صـ٦٠٤؛ وينظر: المصدر نفسه: التفسير، الباب: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (الكهف: ٦٠)، رقم الحديث: ٤٧٢٥، ج٨، صـ٣٦٥؛ وينظر: مسلم، **صحيح مسلم متن شرح النووي**، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه السلام، رقم الحديث: (٢٣٨٠)، ج٨، صـ١٤٨.

[2] العمادي**، إرشاد العقل السليم**، ج٤، صـ٢٠٤.

[3] الزركشي، بدر الدين محمد (ت ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، ط٢، ٤م، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٢م، ج٢، صـ ١٦٥.

[4] ينظر: المثنى عبد الفتاح، **نظرية السياق القرآني**، صـ ١٣١-١٣٣.

[5] ينظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج١، صـ٢٧٥-٢٧٦.

طائفةٍ معينة في مسجد مخصوص"[١]؛ إذن فالإمام-رحمه ا تعالى- قد اعتمد على اللغة العربية وأصولها في بيان المعاني السياقية المكنونة في ثنايا كلام ا عز وجل .

٣- **دلالة العقل والحس**؛ جاء القرآن الكريم مخاطبا عقول البشر؛ داعيا إليهم للهداية والاستقامة؛ يقول ا عز وجل : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (يوسف: ٢)؛ فكما أن هذا الكتاب الكريم لايجوز تبيينه بما يخالف اللسان الذي نزل فيه؛ فلا يجوز كذلك أن يبين بما يخالف العقول ويناقض الحواس التي خلق ا عليها بني البشر، فإن للعقل والحس أثراً في فهم السياق القرآني، ولا يصح حمل كلام ا على ما يخالفهما، يقول الدكتور المثنى عبد الفتاح: "دلالة العقل التي تُعد ضابطا هي الدلالة التي يتفق عليها العقلاء ويقطع بها أصحاب الألباب، فلا يجادل فيها مجادل ولا يماري فيها ممارٍ، ومثلها دلالة الحس التي يتفق عليها البشر أنها تدخل تحت منطوقه ومفهومه بحيث لا يشذ أحد"[٢]، ومن الأمثلة عليه من تفسير الإمام العمادي –رحمه ا تعالى-نجده عند قول ا تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٢٥ ﴾ (الأحقاف: ٢٥)؛ جاءت هذه الآية في ذكر قصة سيدنا هود عليه السلام مع قومه العصاة الذين تكبروا عن طاعته واتباع الهدى الذي بعث فيه، وهنا بين العلامة أن هناك أمورا تدخل ضمن العموم في قوله: ﴿كُلَّ شَيۡءِۭ﴾؛ يقول: "﴿ تُدَمِّرُ ﴾ أي تهلك ﴿كُلَّ شَيۡءِۭ﴾ من نفوسهم وأموالهم ﴿ بِأَمۡرِ رَبِّهَا ﴾"[٣] يلاحظ أن العلامة قد جعل الأنفس والأموال من الأمور التي شملها العذاب؛ ولم يذكر غيرها؛ لأن غيرها لا يندرج ضمن العموم الذي يقصد في الآية الكريمة؛ يقول العلامة الآمدي[٤]: "وكما أن دليل العقل قد يكون مخصصاً للعموم، فكذلك دليل الحس وذلك كقوله تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا ﴾ مع خروج السموات والأرض عن ذلك حسا"[٥].

---

[1] العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ١٨٥.
[2] المثنى عبد الفتاح، **نظرية السياق القرآني**، صـ١٤٣.
[3] العمادي، المصدر نفسه، ج٦، صـ٧٦.
[4] الآمدي هو: أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد الشافعي المتكلم؛ توفي سنة ٦٣١هـ (ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج٧، صـ٢٥٣-٢٥٤)
[5] الآمدي، علي بن محمد، (ت ٦٣١هـ)، **الأحكام في أصول الإحكام**، ط١، ٤م، دار الصميعي، الرياض، ٢٠٠٣م، ج٢، صـ٣٨٨.

وبهذا المثال يتضح جليا أهمية دلالة العقل في بيان وتحديد السياق القرآني؛ كضابط لا يمكن تجاهله.

٤- **دلالة الحال أو المقام**، وهي الظروف المصاحبة للمقال، والمقام أوالحال هو الذي يستدعي النطق بالكلام، ويحث المتكلم على إنشاء المقال، ولا ينكر هذا عاقل، ومن الأمثلة عليه في تفسير الإمام العمادي نجده عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ (آل عمران: ١٠)؛ جاءت هذه الآية الكريمة لبيان حال من كفر با تعالى، بعدما بين الدين الحق والتوحيد وذكرت أحوالَ الكتب الناطقةِ به، وشرح شأن القرآن العظيم وكيفيةِ إيمان العلماء الراسخين به[1]، وهنا رد أبو السعود ما أورده الإمامان الزمخشري[2] والبيضاوي[3] –رحمهما ا - من أن حرف (من) بمعنى البدل، وأن معنى الآية: لن تغني عنهم رحمة ا أو طاعته من طاعة ا شيئا، فرد هذا المعنى استنادا إلى المقام ولحاق الآية؛ يقول: "وأنت خبير بأن احتمال سد أموالِهم وأولادهم مسد رحمة ا تعالى أو طاعته مما لا يخطُر ببال أحد حتى يتصدى لنفيه، والأولُ –أي المعنى الأول الذي رجحه، وهو: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي من عذابه تعالى- هو الأليقُ بتفظيع حال الكفرة وتهويل أمرهم، والأنسب بما بعده من قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾ ومن قوله تعالى : ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ١١) "[4]، إذن فالعلاقة بين الحال والمقام وثيقة؛ تقول الدكتورة خلود العموش: "وفكرتا الحال والمقام في مفهوم البلاغيين مرتبطتان بالبعد الزمني والمكاني للكلام؛ وذلك أن الأمر الذي يدعو المتكلم إلى تقديم صياغته على وجه معين: إما أن يتصل بزمن هذه الصياغة فيسمى (الحال)، وإما أن يتصل بمحلها فيسمى (المقام)؛ ومن هنا ارتبطت فكرة الحال والمقام بالمقال، واختلاف صور هذا المقال يعود بالضرورة إلى اختلاف الحال والمقام"[5]؛ ومن هذا نلاحظ أنه مما ينطوي تحت هذا الضابط روايات أسباب النزول؛ لأنها تعكس الظروف والمقام الذي نزلت فيه الآيات، وكذلك المكي والمدني؛ لأنه يبين زمن نزول الآيات، ويحدد موضوع سياقها[6]. وا أعلم.

---

1 ينظر: العمادي، **إرشاد العقل السليم**، ج١، صـ٣٣٩.
2 ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، ج١، صـ٣٦٧.
3 ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، ج٢، صـ٧.
4 العمادي، المصدر نفسه، ج١، صـ٣٣٩.
5 العموش، خلود، **الخطاب القرآني**، ط١، ١م، جدار الكتاب العالمي، ٢٠٠٨م، صـ٥٥.
6 ينظر: المثنى عبد الفتاح، **نظرية السياق القرآني**، صـ١٤٣، صـ١٥٤.

ومن خلال هذا العرض يظهر مدى براعة هذا العلامة النحرير في إبراز أثر السياق القرآني في تفسيره الجليل، ورفعة القيمة العلمية التي تمتع بها؛ فكان حقيقا بأن يكون إماما في التفسير، وعالما فذا يشهد له القاصي والداني بسعة العلم وإتقانه لفهم كلام ا تعالى.

الخاتمــة

خلصت هذه الدراسة إلى جملة نتائج منها:

- إن لحياة العلامة العمادي العلمية والعملية والبيئة التي نشأ فيها، أثرا كبيرا في صقل شخصيته العلمية، ونبوغ قدراته الفكرية.
- إن تفسير أبي السعود قد علا شأنه في الآفاق، وتميز بمكانة عالية، على الرغم من صعوبة أسلوبه وتعبيراته، ودقة نظمه.
- إن السياق القرآني من أهم ضوابط التفسير؛ التي تعين المفسر على سلوك الطريق السوي في تفسير كلام ا تعالى، وإدراك مراميه وأسراره.
- عناية العلامة العمادي بتحديد المناسبات بين الآيات والمقاطع في سور القرآن الكريم؛ بالاعتماد على السياق القرآني.
- عنايته أكثر من غيره من المفسرين بإبراز العلاقة الوثيقة بين المفردات والصيغ والتعابير القرآنية وبين سياق الآيات الواردة فيها.
- حرصه على إبراز أثر السياق القرآني في تفسيره عند التعامل مع المرويات؛ فهو يعترف عمليا بأثره في ترجيح أو قبول المرويات الواردة في تفسير الآيات؛ وإن لم يكن له عناية خاصة بتخريج الروايات والحكم عليها؛ صحة أو ضعفا؛ فهو يقبل ما ينسجم مع سباق الآيات ولحاقها، ويرد ما يتعارض معها.
- حرصه على بيان مرجع الضمائر في القرآن الكريم، وبيان أثرها على تماسك النظم القرآني؛ معتمدا في ذلك على سياق الآيات، ذاكرا الراجح والموافق للمعنى السياقي، دون التفات إلى خلافات العلماء حوله.
- اعتماده على السياق القرآني في كشف وتقدير الألفاظ والجمل المحذوفة من الخطاب القرآني؛ بما يتلاءم وينسجم مع السياق؛ معبرا عن ذلك بقوله: "حذفَ لدلالة المذكور عليه" أو "محذوف لدلالة ما سبق عليه" أو "لدلالة ما تقدم عليه"، وغيرها.

- اتخاذ أبي السعود من السياق القرآني ميزانا يزن به آراء المفسرين الذين سبقوه، فيقبل ما ينسجم مع السياق من آراء، ويرد ما يتعارض معه؛ ولو كان صاحب ذلك الرأي من كبار علماء التفسير، وذلك حفاظا على الخطاب القرآني وقدسيته، وتنزيها له عن الخلل أو الزلل.
- اعتماده على السياق القرآني في قبول أو رد الأوجه الإعرابية المحتملة للألفاظ القرآنية؛ فيقبل ما انسجم مع السياق ويرد سواه؛ ولو قال به كبار المفسرين، وليس في هذا تطاول على العلماء –رحمهم ا تعالى- وإنما هي المحافظة على خطاب ا العظيم من أن تعرب كلماته بأوجه تفسد تماسك نظمه.
- مفاضلته بين القراءات القرآنية المتواترة معتمدا السياق في ذلك؛ وهذا مما لا يسلم له –رحمه ا تعالى-؛ فإن تمكن المفسر من إدراك علة قراءة ما ولم يقو على إدراك علة القراءة الأخرى فهذا لا يعني قصور القراءة الثانية وعدم تواترها، وإنما يعني قصور قدرة المفسر نفسه عن إدراك أسرار كتاب ا ، ومعانيه المكنونة في ثناياه؛ وا وحده المحيط بمراده من كلامه.
- استناده إلى السياق القرآني في توجيه المتشابه اللفظي، من خلال ملاحظة الاختلافات اليسيرة بين بعض الآيات التي تحمل المعنى نفسه والمبنى ذاته، إلا في بعض التراكيب والألفاظ، التي حصل فيها إما تعريف وتنكير، أو حذف وذكر، أو تقديم وتأخير؛ فيقوم -رحمه ا تعالى- بتعليل هذه الاختلافات وتوجيهها بالنظر إلى سياق الآيات وتأمله.
- حرصه على تعليل التكرار اللفظي للآيات في بعض السور القرآنية؛ معتمدا على سياق الآية ذاتها، وعلى سياق السورة العام.
- إن تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم) قد حظي بقيمة علمية كبيرة؛ لمراعاته كثيرا من ضوابط السياق القرآني التي نص عليها العلماء، والتي لا يصح تجاوزها أو تجاهلها بأي حال من الأحوال؛ وهي المأثور، اللغة العربية، دلالة العقل والحس، ودلالة الحال والمقام.
- وتوصي هذه الدراسة أخيرا بضرورة تناول جوانب عديدة من تفسير أبي السعود بالدراسة والبحث؛ منها: المناسبات، القرءات القرآنية، والنواحي البلاغية فيه.

قائمة الآيات القرآنية

السورة	نص الآية ونصها	رقم الصفحة
الفاتحة	﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الفاتحة: ٤)	٨١
البقرة	﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٧-١٩) ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾(البقرة: ١٩-٢٠)	٤٨
	﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤ ﴾ (البقرة: ٢٣-٢٤) ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦)	٥٣
	﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾ (البقرة: ٢٦-٢٧)	٥٤
	﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴾ (البقرة: ٣٦) ﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (البقرة: ٣٨)	١٠١

	﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ (البقرة: ٤٠)	٧١
	﴿ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾ (البقرة: 55)	٦٠
	﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ٦٣)	٧٥
	﴿ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۖ فَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾(البقرة: ٦٤) ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥ فَجَعَلۡنَٰهَا نَكَٰلٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهَا وَمَا خَلۡفَهَا وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٦٥-٦٦)	٧٤
	﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٧٦)	٧١
	﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (البقرة: ٧٨)	٧٠
	﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ (البقرة: ٨٤)	٥٨،٥٩
	﴿ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة: ٩٤)	٦٣
	﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ ﴾ (البقرة: ١١٤)	١٠٧
	﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾(البقرة: ١٢٦)	٩٢
آل عمران	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٠-١١)	١٠٩
	﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ (آل عمران: ١٢)	٦٥

	﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ (آل عمران: ١٢٦) ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ (آل عمران: ١٢٩)	٤٦
	﴿ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ (آل عمران: ١٨١)	٥٨
	﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴾ (آل عمران: ١٨٢)	٥٥
	﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (آل عمران: ١٨٣)	٥٦
	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)	٥١
النساء	﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴾ (النساء: ٢٨)	٧١
	﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ...وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴾ (النساء: ٢٥-٢٦)	٧٢
	﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ﴾(النساء: ٣٨)	٦٣
	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾ (النساء: ١٤٦) ﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا	٤٣

	عَلِيمٗا ﴾ (النساء: ١٤٧)	
	﴿ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمۡ وَقُلۡنَا لَهُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾(النساء: ١٥٤)	٧٥
المائدة	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٥)	٦٧
	﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٦)	٦٦
	﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ (٥١) فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ (المائدة: ٥١-٥٢) ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة: ٥٣)	٨٢
	﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٦٠)	٨٦
الأنعام	﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ (الأنعام: ٣٥)	٥٥
	﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ (الأنعام: ٣٨)	٦٧
	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾(الأنعام: ٨٢)	٣٨
الأعراف	﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ	٩٧

	ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٢-٣٣) ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٤)	
	﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴾ (الأعراف: ١٨٤) ﴿ مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٦)	٧٨
	﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ١٨٧) ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الأعراف:١٨٨)	٧٧، ٩٨
يونس	﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴾ (يونس: ١٨)	٩٩
	﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٨ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (يونس: ٣٨-٣٩)	٥٦
	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ (يونس: ٤٤)	٥٦
	﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ﴾ (يونس: ٤٩)	٩٨
	﴿ ...وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ (يونس:٦١)	١٠٠

	﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴾ (يونس: ٧٧)	٧٨
هود	﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ... وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (هود: ١٥ – ١٧) ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ ... لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾ (هود: ١٨ – ٢٢)	٤٩
	﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ ﴾ (هود: ٤٥)	٥٠
	﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴾ (هود: ٨١)	٩٥
يوسف	﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (يوسف: ٢)	١٠٨
الرعد	﴿ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴾ (الرعد: ١٣) ﴿ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴾ (الرعد: ١٦)	٤٧
إبراهيم	﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ ﴾ (إبراهيم: ٢٨)	٩٣
	﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴾ (إبراهيم: ٣٥)	٩٢
	﴿ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ ﴾ (إبراهيم: ٣٧)	٩٣
	﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ﴾ (إبراهيم:٤٤)	٧٢

الحجر	﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الحجر:٣) ﴿ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴾ (الحجر: ٥)	٩٧
	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ (الحجر: ٢٣)	٦٨
	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (الحجر: ٢٨)	٩٤
	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴾ (الحجر: ٢٤)	٦٧
	﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (الحجر: ٢٥)	٦٨
	﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴾ (الحجر: ٦٥)	٩٥
النحل	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل: ١١٢)	٧٦
	﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ (النحل: ١١٣)	٧٥
	﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (النحل: ١١٤)	٧٦
	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل: ١١٥)	٧٧
	﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ ﴾ (النحل: ١٢٣)	٥٥
الإسراء	﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾ (الإسراء: ٢٧)	٦٣
الكهف	﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ ﴾ (الكهف: ١١٠)	٥٥
	﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٧٢) ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ ﴾ (الكهف: ٧٣)	١٠٦

مريم	﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا﴾ (مريم: ٤١)	٧٣
	﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾ (مريم: ٤٨)	٧٣
	﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ (مريم: ٤٩)	٧٤
طه	﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي﴾ (طه: ٩٦)	٨٣
الأنبياء	﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلۡ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡۖ أَفَتَأۡتُونَ ٱلسِّحۡرَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ﴾ (الأنبياء: ٢-٣) ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾ (الأنبياء: ٥)	٦٤
	﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ (الأنبياء: ٤٨)	٩٩
	﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٩-٩٠)	١٠٠
	﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (الأنبياء: ٩١)	٩٩
الحج	﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ (الحج: ٤)	٦٠
	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ﴾ (الحج: ١٤ – ١٥)	٤٤

	﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ (الحج: ٣٨)	٤٧
المؤمنون	﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (المؤمنون: ٢٣)	١٠٠
	﴿ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٖ ذَاتِ قَرَارٖ وَمَعِينٖ ﴾ (المؤمنون: ٥٠)	٩٩، ١٠٠
	﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾ (المؤمنون: ٦٠)	٣٥
الشعراء	﴿ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ (الشعراء: ٥-٦) ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ الشعراء:(٦٧-٦٨)	٥٩
	﴿ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾ (الشعراء٨٣-٨٩)	٧٣
	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ (الشعراء: ١٩٥)	١٠٧
الروم	﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ ﴾ (الروم: ٢٢)	٧٠
	﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفٗا فَتَرَى ٱلۡوَدۡقَ يَخۡرُجُ مِنۡ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ (الروم: ٤٦-٤٨)	٤٤

لقمان	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان: ١٣)	٣٨
سبأ	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (سبأ: ٣)	١٠٠
الصافات	﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (الصافات: ١٠٠)	٧٣
ص	﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾ (ص: ٧١)	٩٤
غافر	﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ (غافر: ١٦)	٨١
الشورى	﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ ﴾ (الشورى: ٧) الآية. ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ (الشورى: ١٣)	٥٤
الدخان	﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ (الجن: ١)	٨٤
	﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ (الجن: ١٩)	٨٥
	﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (الجن: ٢٠) ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ (الجن: ٢١)	٨٤
	﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ (الدخان: ٤٩)	٣٦
الأحقاف	﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الأحقاف: ٢٥)	١٠٨
الذاريات	﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الذاريات: ٣٥)	٩٥
القمر	﴿ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ (القمر: ٤-٥)	١٠٢
	﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ (القمر:٥)	٥٠

	﴿ ۞كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾ (القمر: ٩)	
	﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ (القمر: ١٧)	١٠٣
الرحمن	﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن: ٢٧)	٥٢
	﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (الرحمن: ٧٨)	٥١
المنافقون	﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (المنافقون: ٤)	٨٧
الجن	﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (الجن: ٢٦)	٨٨
المرسلات	﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات: ١٥)	١٠٣

قائمة الأحاديث

قائمة الأشعار

نص البيت	رقم الصفحة
أبعد سلمى مطلب ومرام وغير هواها لوعة وغرام	١٦
ما يعيبكم هذا ولكنه بغض الذي لُقب بالصاحب نحن أناس قد غدا دأبنا حب علي بن أبي طالب وقولكم فيه وفي بنته فلعنة ا على الكاذب	١٥

قائمة المصادر والمراجع

- آصاف، يوسف بك (ت ١٩٣٨م)، **تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن**، ط١، ١م، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م.
- الآلوسي، أبو الثناء شهاب الدين (١٢٧٠هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط بلا، ٣٠م ، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.
- الآمدي، علي بن محمد، (ت ٦٣١هـ)، **الأحكام في أصول الإحكام**، ط١، ٤م، دار الصميعي، الرياض، ٢٠٠٣م.
- الأدنه وي، أحمد بن محمد، **طبقات المفسرين**، ط١، ١م، (تحقيق: سليمان الخزي)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٩٩٧م.
- الأزهري، محمد بن أحمد (ت: ٣٧٠هـ)، **تهذيب اللغة**، ط بلا، ١٦م، (تحقيق: عبد السلام هارون)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.
- الإسكافي، أبو عبد ا محمد (ت ٤٢٠هـ)، **درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب ا العزيز**، ط ١، ١م، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٣م.
- أمين، فؤاد سيد؛ **فهرست المخطوطات: نشرة بالمخطوطات التي اقتنتها الدار**، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦١م.
- الأنباري، محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ)، **الأضداد**، ط بلا، ١م، (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٧م.
- الأنباري، أبو بكر محمد بن القاسم (ت ٣٢٨هـ)، **الوقف والابتداء في كتاب ا عز وجل**، ٢م، (تحقيق: محيي الدين رمضان)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧١م.
- أوزتانا، يلماز، **تاريخ الدولة العثمانية**، ط١، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، ١٩٨٨م.
- باحويرث، تهاني بنت سالم(٢٠٠٧م)، **أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه اللفظي في القصص القرآني دراسة نظرية تطبيقية على آيات قصص نوح وهود وصالح وشعيب عليهم السلام**. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

- ابن بالي، علي (ت ٩٩٢هـ)، **العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، وهو ذيل على كتاب (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية) لطاشكبرى زاده،** ١م، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)، **الجامع الصحيح متن فتح الباري،** بشرح ابن حجر (٨٥٢هـ)، ط١، ١٥م، دار مصر للطباعة، مصر، ٢٠٠١م.
- البستاني، بطرس، **دائرة المعارف،** ط بلا، ١٠م ، دار المعرفة، بيروت.
- البغدادي، إسماعيل باشا(ت ١٣٣٩هـ)، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين،** ط بلا، ٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥١م.
- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن (ت ٨٨٥هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،** ط بلا، ٢٢م، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٤٨م.
- البكري، محمد بن أبي السرور (ت ٩٩٨هـ)، **المنح الرحمانية في الدولة العثمانية،** ط١، ١م، (تقديم وتحقيق وتعليق: د. ليلى الصباغ)، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٥م.
- البوريني، الحسن بن محمد (ت ١٠٢٤هـ)، **تراجم الأعيان من أبناء الزمان،** ط ، ٢م، تحقيق: صالح الدين المنجد (١٩٥٩م) مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق.
- البيضاوي، أبو الخير ناصر الدين (ت٦٨٥هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل،** ط١، ٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٨م.
- البيومي، محمد رجب (ت ٢٠٠٦م)، **البيان القرآني،** ط بلا، ١م، دار النصر للطباعة، القاهرة، ١٩٧١م.
- الترمذي، أبو موسى محمد (ت ٢٩٧هـ)، **الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي،** ط٢ ،٥م، (تحقيق: إبراهيم عوض)، مطبعة مصطفى البابي الجلبي وأولاده، مصر، ١٩٧٥م.
- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس(ت ٧٢٨هـ)، **مقدمة في أصول التفسير،** ط١، ١م، (شرح: د. مساعد الطيار)، دار ابن الجوزي، الدمام، ٢٠٠٦م.
- الجرجاني، عبد القاهر (ت ٤٧١هـ)، **دلائل الإعجاز،** ط٣، ١م، (قراءة وتعليق: محمود شاكر)، دار المدني، جدة، ١٩٩٢م.
- ابن الجزري، محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ)، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين،** ط١، ١م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ)، **النشر في القراءات العشر**، ط٣، ١م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد ا (ت ١٠٦٧هـ)، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، ط٤، ٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٤١م.
- الحارثي، عبد الوهاب أبو صفية، **دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم**، ط١، ١م، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، عمان، ١٩٨٩م.
- الحربي، حسين بن علي، **قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية**، ط١، ٢م، دار القاسم، الرياض، ١٩٩٦م.
- حسان، تمام، **البيان في روائع القرآن**، ط٢، ١م، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد ا (ت ٦٢٦هـ)، **معجم البلدان**، ط بلا، ٦م ، طهران، ١٩٦٥م.
- أبو حيان، محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ)، **البحر المحيط**، ط١، ٧م، (دراسة وتحقيق: عادل عبد الموجود وآخرون)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
- الحنين، فواز بن سعد، **الضبط بالتقعيد للمتشابه اللفظي في القرآن المجيد**، ط٢، ١م، الرياض، ٢٠٠٨م.
- خاروف، محمد فهد، **الميسر في القراءات الأربع عشر**، ط٤، ١م، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٦م.
- الخطابي، حمد بن محمد (ت ٣٨٨هـ)، **بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، ط بلا، ١م، (تحقيق: محمد خاف ا ومحمد سلام)، دار المعارف، مصر.
- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ)، **مقدمة ابن خلدون**، ط١، ١م، (تحقيق:حامد طاهر)، دار الفجر للتراث، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- دامير، عبد ا ، **شيخ الإسلام أبو السعود أفندي كبير علماء الحقوق في الدولة العالية**، ط١، ١م، أوتوكان، استانبول، ٢٠٠٦م.
- الداني، أبو عمرو عثمان (ت ٤٤٤هـ)، **التيسير في القراءات السبع**، ط٢، ١م، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- الداني، أبو عمرو عثمان (٤٤٤هـ)، **المكتفى في الوقف والابتدا**، ط١، ١م، (تحقيق: محيي الدين رمضان)، دار عمار،عمان، ٢٠٠١م.

- الذهبي، شمس الدين محمد (ت ٧٤٨هـ)، **سير أعلام النبلاء**، ط٣، ٢٩م، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
- الذهبي، محمد حسين (ت ١٩٧٧م)، **التفسير والمفسرون**، ط١، ٢م، دار اليوسف، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الذهبي، أبو عبد ا محمد، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، ٤م، (تحقيق: علي البجاوي)، دار المعرفة، بيروت.
- الرازي، محمد فخر الدين (ت ٦٠٦هـ)، **مفاتيح الغيب**، ط١، ٣٢م، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.
- الراغب، الحسين بن محمد الأصفهاني (ت: ٥٠٣هـ)، **مفردات ألفاظ القرآن**، ط٣، ١م، (تحقيق: صفوان داوودي)، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٢م.
- الربيعة، محمد، **أثر السياق القرآني في التفسير؛**
http://www.tafsir.org/vb/showthread.php?t=7177K، ٢٠٠٩/٥/٤.
- الرماني، علي بن الحسن، (ت ٣٨٦هـ)، **النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، ط بلا، ١م، (تحقيق: محمد خلف ا ومحمد سلام)، دار المعارف، مصر.
- الرومي، فهد بن عبد الرحمن، **بحوث في أصول التفسير ومناهجه**، ط١، ١م، مكتبة التوبة، الرياض.
- زبن، عماد أحمد (٢٠٠٦م)، **أبو السعود ومنهجه في النحو من خلال تفسيره: (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، الأجزاء العشر الأولى من القرآن أنموذجا**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- الزجاج، إبراهيم بن محمد (ت ٣١١هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، ط١، ٥م، (شرح وتحقيق: د. عبد الجليل شلبي)، دار عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.
- الزركشي، بدر الدين محمد (ت ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، ط٢، ٤م، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٢م.
- الزركلي، خير الدين (ت ١٣٩٠هـ)، **الأعلام**، ط١٥، ٨م، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٧م.

- الزرقاني، محمد عبد العظيم (ت ١٩٤٨م)، **مناهل العرفان**، ط٢، ١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الزمخشري، محمد بن عمر(ت: ٥٣٨هـ)، **أساس البلاغة**، ط بلا، ١م، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٤م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود (ت ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط٢، ٤م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد (ت نحو٤١٠هـ)، **حجة القراءات**، ط١، ١م، (تحقيق: سعيد الأفغاني)، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، ١٩٧٤م.
- أبو زيدون، وديع، **تاريخ الامبراطورية العثمانية من التأسيس إلى السقوط**، ط١، ١م، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣م.
- السامرائي، فاضل صالح، **التعبير القرآني**، ط٥، ١م، دار عمار، عمان، ٢٠٠٧م.
- السامرائي، فاضل صالح، **معاني النحو**، ط٣، ٤م، دار الفكر، عمان، ٢٠٠٨م.
- السدي، إسماعيل بن محمد (ت ١٢٨هـ)، **تفسير السدي الكبير**، ط١، ١م، (جمع وتوثيق ودراسة: د. محمد يوسف)، دار الوفاء، المنصورة، ١٩٩٣م.
- السلمي، عبد العزيز بن سلام (٦٦٠ت هـ)، **الإمام في بيان أدلة الأحكام**، ط١، ١م، (تحقيق ودراسة: رضوان غربية)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٧م.
- سيد، إبراهيم إبراهيم، **أثر السياق في توجيه المعنى في تفسير(التحرير والتنوير) للطاهر ابن عاشور**، ط١، ١م، دار المحدثين، القاهرة، ٢٠٠٨م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، ط١، ٧م، (تحقيق مركز الدراسات القرآنية)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٦هـ.
- الشافعي، محمد بن إدريس (٢٠٤هـ)، **الرسالة**، ط١، ١م، (شرح وتعليق: عبد الفتاح كبارة)، دار النفائس، بيروت، ١٩٩٩م.
- الشتوي، فهد بن شتوي (٢٠٠٥)، **دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى**υ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، المملكة العربية السعودية.

- الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،** ط١، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- طاشكبرى زاده، عصام الدين (ت ٩٦٨هـ)، **الشقائق النعمانية من علماء الدولة العثمانية،** ط١٠ ، ١م، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٥م.
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن،** ط١، ٢٦م، (تحقيق: عبد ا التركي)، مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، ٢٠٠١م.
- ابن عاشور، محمد الفاضل (ت ١٣٩٠هـ)، **التفسير ورجاله،** ط ٣، ١م، دار سحنون، تونس، ١٩٩٩م.
- عباس، فضل حسن(١٩٨٧م)، بيان إعجاز القرآن للخطابي، تحليل ومقارنة ونقد. **دراسات،** ١٤ (١٠): ٢٤٣.
- عباس، فضل حسن، **إتقان البرهان في علوم القرآن،** ط١، ٢م، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٧م.
- عباس، فضل حسن، **التفسير أساسياته واتجاهاته،** ط١، ١م، مكتبة دنديس، عمان،٢٠٠٥م.
- عباس، فضل حسن، **القراءات القرآنية وما يتعلق بها،** ط١، ١م، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٨م.
- عباس، فضل حسن، **قصص القرآن الكريم،** ط٢، ١م، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٧م.
- عباس، فضل حسن(١٩٨٧م)، **قضية التكرار في كتاب ا .** مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية –الكويت، العدد(٧).
- عبد الفتاح، د.المثنى، **نظرية السياق القرآني؛ دراسة تأصيلية دلالية نقدية،** ط١، ١م، دار الوائل للنشر، عمان، ٢٠٠٨م.
- العبيدي، محمد عبد ا ، **دلالة السياق في القصص القرآني،** ط بلا، ١م، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب (ت٥٤١هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،** ط١، ٦م، (تحقيق: عبد السلام محمد)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.
- العكبري، أبو البقاء عبد ا (ت ٦١٦هـ)، **التبيان في إعراب القرآن يعرض لأهم**

وجوه القراءات ويعرب جميع آي القرآن، ط١، ٢م، (تحقيق: علي محمد البجاوي)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1976م.

- علي، يوسف أحمد (١٤٠٤هـ)، **البيضاوي ومنهجه في التفسير**، رسالة دكتوراة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
- ابن العماد، شهاب الدين عبد الحي العكري (ت ١٠٨٩هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط١، ١٠م، (حققه وعلّق عليه: محمود أرناؤوط، وأشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه: عبد القادر أرناؤوط)، دار ابن كثير، بيروت، ١٩٩٣م.
- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد (ت ٩٨٢هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ط١، ٦م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- العموش، خلود، **الخطاب القرآني**، ط١، ١م، جدار الكتاب العالمي، ٢٠٠٨م.
- العيدروس، عبد القادر بن شيخ (ت ١٠٣٨هـ)، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ط١، ١م، دار الصادر، بيروت، ٢٠٠١م.
- الغرناطي، أحمد بن الزبير(ت ٧٠٨هـ)، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، ط١، ٢م، ٠تحقيق: سعيد الفلاح)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.
- الغَزي، نجم الدين محمد (ت ١٠٦١هـ)، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، ط١، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الغماري، عبد ا محمد، **بدع التفاسير**، ط١، ١م، مكتبة القاهرة، مصر، ١٩٦٥م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت: ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ط١، ١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- الفارسي، أبو علي الحسن (ت ٣٧٧هـ)، **الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد**، ط١، ٧م، (تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي)، دار المأمون للتراث، بيروت، ١٩٨٤م.
- الفراهي، **دلائل النظام**، ترجمة سليمان الندوي، دار المصنفين، الهند، ١٣٤٩هـ.
- الفراهي، عبد الحميد (ت ١٣٤٩هـ)، **دلائل النظام**، ط١، ١م، المطبعة الحميدية، الهند.
- فنسك، وآخرون، **دائرة المعارف الإسلامية**، ط٢، م ، (ترجمة: محمد ثابت وآخرون)، منشورات طهران، إيران، ١٩٣٤م.

- القاضي، عبد الفتاح، **القراءات الشاذة وتوجيهها في لغة العرب**، ط بلا، ١م، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨١م.
- ابن قتيبة، عبد ا بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، **تأويل مشكل القرآن**، ط بلا، ١م، (تحقيق: السيد أحمد صقر)، مكتبة التراث، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- قطب، محمد(ت ٢٠٠٤م)، **دراسات قرآنية**، ط٨، ١م، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- القيسي، مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، **مشكل إعراب القرآن**، ط٣، ٢م، (تحقيق د. حاتم صالح الضامن)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م.
- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر(ت ٧٥١هـ)، **بدائع الفوائد**، ط١، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت: ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، ٤م، دار السلام، الرياض، ١٩٩٨م.
- كحالة، عمر رضا، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، ط١، ٤م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.
- الكرماني، محمود بن حمزة (توفي نحو٥٠٥هـ)، **البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان**، ١م، (تحقيق: عبد القادر عطا)، دار الفضيلة، القاهرة.
- اللكنوي، محمد بن عبد الحي (١٣٠٤هـ)، **الفوائد البهية في تراجم الحنفية**، ط١، ١م، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٨م.
- المبارك، محمد، **فقه اللغة العربية؛ دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية، وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد**، ط٧، ١م، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.
- ابن مجاهد، أبو بكر أحمد بن موسى (ت ٣٢٤هـ)، **السبعة في القراءات**، ط بلا، ١م، (تحقيق: د. شوقي ضيف)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٢م.
- مجاهد، عبد الكريم، **الدلالة اللغوية عند العرب**، ط بلا، ١م، دار الضياء، بيروت، ١٩٨٥م.
- المحامي، محمد فريد (ت ١٣٣٨هـ)، **تاريخ الدولة العلية العثمانية**، ط١، ١م، (تحقيق: د. إحسان حقي)، دار النفائس، بيروت، ١٩٨١م.
- محمد، أحمد سعد، **التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية**، ط٢، ١م، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٣.

- مسلم، بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)، **صحيح مسلم متن شرح النووي،** ط٤، ٩م، (تحقيق: عصام الضباطي وآخرون)، دار الحديث، القاهرة.
- المشني، مصطفى إبراهيم، **ابن العربي المالكي وتفسيره أحكام القرآن،** ط١، ١م، دار عمار، عمان، ١٩٩١م.
- المطيري، عبد الرحمن عبد ا (٢٠٠٨م)، **السياق القرآني وأثره في التفسير؛ دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير.** رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.
- الميداني، عبد الرحمن حبنكة، **البلاغة العربية: أسسها، وعلومها وفنونها،** ط١، ٢م، دار القلم، دمشق، ١٩٩٦م.
- النصيرات، د. جهاد محمد (٢٠٠٥م)، **الاتجاه البياني (علم المعاني) في تفسير الآلوسي من خلال سورة البقرة.** رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك، الأردن، إربد.
- الواحدي، أبو الحسن علي (ت ٤٦٨هـ)، **أسباب نزول القرآن،** ط١، ١م، (تحقيق: ماهر ياسين الفحل)، دار الميمان، الرياض، ٢٠٠٥م.
- الوراق، محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٠هـ)، **الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم،** ط بلا، ٢م، (تحقيق: رضا تجدد المازنداري)، مكتبة الأسدي، طهران، ١٩٧١م.

THE QUR'ANIC CONTEXT IN ABU AL-SOUD AL-IMADI'S EXEGESIS

By:
Rawan Fozan Mufdi Al-Hadeed

Supervisor:
Prof. Jihad Mohammad Al-Nserat

ABSTRACT

This study addresses the Quranic context in Abu Al-soud Al-Imadi’s Exegesis (Guiding Healthy Mind to the Features the Holy Quran); in an attempt to reveal the extent of his dependence on the Quranic context in interpretation.

The nature of the subject required that this study consists of an introduction, two chapters and a conclusion.

The introduction addresses the importance of this study, its objectives, the approach to be adopted, previous studies on this subject, and study plan.

The first chapter is an introductory chapter that includes an introduction on Imam Abu Saud, through the environment where he grew up, and his scientific practical life; ranging from the good education he received within the confines of his family, and ending with his death - Almighty God's mercy be upon him -. Furthermore, this chapter includes a presentation for his interpretation addressed through analyzing his introduction, stating his methodology in interpretation, displaying the sources he relied upon, the scientific position given to this interpretation, and some of its shortcomings.

The second theme includes the lexicological and conventional definition of the Quranic context, its importance in the science of interpretation, the extent of attention by scientists to this science, and its types.

The second chapter is in an introductory and five themes; the researcher showed the importance of the terms used by Abu Saud to express the context in his interpretation, the first theme shows the impact of Abu Saud's Quranic context on interpretation by highlighting events, the preference of a word or formula on the other, the second theme shows the impact of context in determining the reference of a pronoun and in estimating the deleted one.

The third theme contains a statement of the impact of the Qur'anic context by Abu Saud in weighting among the stories and interpretative opinions in addition to the Quranic recitations and syntactical sides.

In the forth theme, the researcher presents practical examples to demonstrate the impact of the Quranic context by Abu Saud in guiding of verbal likes in terms of: the definition and indefinition, advancement and postponement, deletion and mentioning.

In the fifth theme, the researcher addresses the scientific value of Imam Al-Imadi's applications in taking the context of Quranic interpretation into consideration.

The conclusion includes the most important findings of this study.

Finally, the researcher introduced the sources and references used in the study.